

أسطورة أوديب

في المسرح المعاصر

عند

أندريه جيد

جان كوكتو

توفيق الحكيم

على أحمد باكثير

على سالم

بقلم: مصطفى عبد الله



أسطورة أوديب في المسرح المعاصر

عند أندريه جيه
جان كوكتو
توفيق الحكيم
على أحمد باكثير
على سالم

يقام : مصطفى عبد الله



الهيئة العامة للمكتبات والوثائق

١٩٨٢

المقدمة

كان من الطبيعي أن أتعرف ، أول ما أتعرف ، على المسرح من خلال احتكاك بأعمال من مسرحنا المصرى ، ولكبار كتابه . ولكن ، هذا ما لم يحدث معى . فلقد تعرفت على المسرح ، كفن حقيقى ، من خلال مسرح اليونان الكلاسيكى . وأعظم مسارح العالم قديمه وحديثه فى رأيى . وكان ذلك عندما طالعت « أوديب ملكا » من أعمال « سوفوكليس » .

لقد كانت أسطورة أوديب ومسرحية سوفوكليس لى بمثابة « المعبر » أو « الجسر » الذى امتد أمامى ليوصلنى - بعد أن أبحث - الى أرض « اليونان » . منبع المسرح الأصيل ، كما تعلمنا ، ويكفينى ان بدأت من النبع الأصيل لا من الرافد الهزيل . منذ ذلك اليوم ، وأنا دائم التفكير فى أسطورة من قتل أباه وتزوج من أمه .

وان كانت الرؤيا تختلف من آن لآخر باختلاف وتطور الفهم والعلم والثقافة ، التى تختلف اليوم بلا شك عنها منذ سنوات أربع خلت . فجرت الكثير . وغيرت من الكثير .

لعل اختيارى لموضوع هذا الكتاب قد اتضح سببه الآن . ولقد كانت فكرته فى البداية ، هى دراسة المسرحيات الثلاث التى

عرضها مسرحنا المصرى كمعالجات ، أو استلهامات ، أو استيحاءات من الأسطورة القديمة .. أقصد أسطورة أوديب ، تلك المعالجات الثلاث التى كتبها الأساتذة :

توفيق الحكيم - على أحمد باكثير - على سالم .. بالنشر
وعندما طرحت فكرة البحث ، أقتنعت بأنه من الأفضل أن يشتمل على المعالجات التى تناولت الأسطورة فى كل من المسرح الفرنسى والمصرى المعاصر .. وبالتحديد عند كل من :

أندريه جيد ، جان كوكتو ، توفيق الحكيم ، على أحمد باكثير ،
على سالم .

وبدأت رحلة البحث الشاقة الممتعة فى الموضوع الذى شغلنى كثيرا . وخرجت من رحلتى يبحث فى ستة أبواب مقسمة الى قسمين : فى الأول تحدثت عن الأسطورة ، ومعالجة سوفوكليس لها ، والثى ان بدت للوهلة الأولى أنها بعيدة الصلة عن البحث فى أسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى ، أو المسرح المصرى المعاصر . الا أننى أرى أنها لصيقة الى أقصى درجة بموضوعي : فمن حين لآخر كنت أعود لأقارن بين مسرحية سوفوكليس وبين أى من المسرحيات الخمس الأخرى تارة ، أو بين الأسطورة ومسرحية سوفوكليس واحدى المسرحيات الخمس فى وقت واحد تارة أخرى .

وقد كان منهجى فى البحث هو الاعتماد على النص وحده ، لأحصل على الاستنتاجات من داخل العمل لا من خارجه . فدراسة النص عندى كانت الهدف والغاية ولذلك كان اهتمامى بصلب الموضوع .. « بالأسطورة فى المسرح الفرنسى والمصرى المعاصر » . لا بمن عالجوا هذه الأسطورة .. ذواتهم .

وعليه ، فلم يكن اهتمامي كبيرا بأى من : أندريه جيد ،
أو جان كوكتو ، أو توفيق الحكيم ، أو علي أحمد باكثير ، أو علي
سالم ، فى حد ذاته . فلم أكتب عن أى منهم فصولا طويلة ،
أو صفحات وصفحات . بل اكتفيت بالكتابة عنهم بشكل عابر
على سبيل التقديم ، أو التوضيح ، أو القاء الضوء . وهذا مقصود
منى ولاريب وليس مرجعه تقصيرا ، أو عجزا ، عن الكتابة صفحات
وصفحات عن كل منهم ، وعن ميلاده . . . وحياته . . . وإنتاجه
الأدبى . . . ومماته . . . ان كان قد مات .

ولما أحسست بتزايد صفحات البحث تزايدا كبيرا ، وكدت
أسمعها تطلب منى أن أكف عن أن أثقل على كاهلها بالمزيد .
ولما كانت المسرحية الواحدة للكاتب تحتاج منا لكم من الوقت
طويل أو كبير من أجل الاحاطة بكل جوانبها ، ثم عرضها
وتحليلها . فكم من الوقت كنا سنحتاجه ان كنا اعترطنا الكتابة
عن كل من كتابنا الخمسة ؟

لذلك كله قررت أن أستمر فى رحلتى وفق المفهوم الذى
وضعت له .

وكل مبتغى أن أكون قد وفقت فى الاقناع بوجهة نظرى .

والله الموفق ،،

مصطفى عبد الله

[مدينة نصر]

الجزء الأول

● مفتاح عن الأسطورة :

– أسطورة أوديب

– تأصيل الأسطورة

● الباب الأول :

– مسرحية « أوديب ملكا » : لسوفوكليس

أسطورة أوديب في المسرح الفرنسي المعاصر

● الباب الثاني :

– مسرحية « أوديب » : لاندريه جيد

● الباب الثالث :

– مسرحية الآلة الجهنمية « : جان كوكتو

حكاية عن الاسطورة

« الاسطورة حكاية تعيش منذ القدم فى تقاليد قبيلة أو جنس أو أمة ، يتوارثها خلف عن سلف ، وتدور حول الآلهة وأنصاف الآلهة والأحداث الخارقة ، وتختلف عن الملاحم التى تسجل أفعالا انسانية وعن الحكايات الخرافية التى ابتكرت لأغراض التعليم والتسلية .

والأسطورة تنتهى الى أشكال الحضارة القديمة ، وترجع الى مرحلة سابقة على العلم والفلسفة . فهى تفسر بمنطق العقل البدائى ظواهر الكون والطبيعة والانسان » (١) .

اسطورة أوديب :

واسطورة أوديب من أعرق أساطير اليونان التى عرفها ، أول ما عرفها المسرح اليونانى الكلاسيكى والتى مازالت تعيش بيننا حتى اليوم .

ومسرحية « أوديب ملكا أو حاكما » لسوفوكليس - وإن لم تكن المعالجة الأولى الدرامية لهذه الأسطورة ، فقد سبقتها محاولة

(١) عثمان تويه : الكاتب العربى والأسطورة . (المقدمة) . المجلس الأعلى

لرعاية العنوان والآداب - القاهرة - ١٩٦٨ .

اسخيلوس التى لم تصل إلينا وإن كنا قد علمنا بها من خلال كتب تاريخ الدراما - تعتبر ، بحق وعن جدارة ، أعظم المسرحيات التى ظهرت فى المسرح الكلاسيكى اليونانى والتى اعتبرها ناقد الدراما الأول « أرسطو » أو « Aristotle » فى كتابه « فن الشعر » نموذجا للمسرحية الكلاسيكية الجيدة الملتزمة بقواعده ، وقد طبق عليها نظريته فى الدراما . أو ما عرفت بنظرية أرسطو .

ومن هنا اكتسبت هذه المسرحية شهرة واسعة فى العصر الكلاسيكى يونانياً كان أو رومانياً ثم فى بقية العصور ولا سيما فى عصرنا الحديث .

فقد عالجها فى مسرحنا المصرى : توفيق الحكيم ثم على أحمد باكثير ، واستوحى منها على سالم مسرحية كوميدية سماها « كوميديا أوديب أو أنت التى قتلت الوحش ، وحديثاً تناولها الدكتور فوزى فهمى بعنوان « عودة الغائب » هذا ، وقد سبق كلا من : أندريه جيد و جان كوكتو ، توفيق الحكيم بمعالجتهما لأسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى المعاصر .

- ولكن ، ماهى أسطورة أوديب ؟

والى أى أصل ترجع هذه الأسطورة ؟

كان « لايوس » ملكاً على مدينة طيبة فطرد منها ، وعندئذ ذهب الى « ببلوبس » ملك « طنطاله » طالباً اللجوء اليه ، ورغم اجابة ملك طنطالة للايوس فقد تركه الأخير بعد أن اختطف ابنه « كريسيبس » .

ويستعيد « لايوس » عرش طيبه ، ويتزوج من الأميرة « جوكاست » ويعيش معها عيشة سعيدة راضية لا يكدرها إلا افتقادها الولد .

وفى محاولة للتعرف على سبب ذلك العقم الذى يباعد بين الملك والملكة من ناحية وبين وليد لهما من ناحية أخرى ، يستشير وحى الاله « أبوللو » الذى ينتهز الفرصة ليطلع « لايوس » على ما قدر عليه من لعنة نتيجة لفعلته النكراء مع ملك طنطاله . يخبره الاله بأنه سيرزق الولد ، ولكن ما أن يأتى ذلك المنتظر حتى يقتل أباه ، ويتزوج من أمه .

وما أن يعلم لايوس بالوحى حتى يعيش مهموماً . . مفكراً فى أمرين أحلاهما مر ، الولد الذى يتمناه ليملاً عليه القصر سعادة وحياة فيخلد ذكره ، والوحى الذى يقول أنه سسيقتل بيد ذلك الابن الذى سيتزوج من أمه أيضاً .

وبعد طول تفكير يؤثر الملك العقم على الولد ذلك العقم الذى فيه الحياة له حتى لو لم يكن فيه الخلود ، بل انه أصبح واضحى يحرص على ذلك العقم حرصه على الشيء الثمين الذى يخاف عليه من الضياع .

« غير أن القضاء ماض ، فما هى الا فترة حتى يرزق لايوس من زوجته جوكاست هذا الغلام الذى أنذره أبوللو أنه سيذيقه الموت ! »

هنالك . . يستأثر الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزعم أن يقتل ابنه قبل أن يقتله هذا الابن ، واسلم الطفل الى راع من رعاته ، وكلفه أن يلقيه على الجبل نهبا للسباع (١) .

وتقول الروايات ان الراعى قد حمل الطفل لينفذ فيه أمر الملك ، الا أنه لما نظر فى وجهه ولمح البراءة والطهر قرر الا يفعل

(١) د . طه حسين . مقدمة اوديب ملكا لسوفوكليس . ص ٧ مطبوعاته كتابى - القاهرة .

ما أثمر به فقد استيقظ ضميره ، وخاف من بطش الآلهة به
لو هو الركب ذلك الجرم . فقرر أن يطرحه فى العراء ، ليلقى
ما كتب له أن يلقاه . فلو كتبت له النجاة فسينجو بلا شك .
ولو كتب له الهلاك فستفتك به وحوش البرية منفذة ما كتب الاله .

ويبكي الطفل ، فيهدى اليه راع آخر الملك كورنث . كان
يبحث عن احدى نعاجه الضالة ، فيشفق على الصبى ويأخذه الى
الملك والمملكة اللذين كانا يعانيان من العقم الذى حال بينهما وبين
الذرية الصالحة . ففرحا كثيرا به وأسمياه « أوديب » أى متروم
القدمين . واتخذاه ولدا ، فكتبت لأوديب الحياة مرة ثانية .
وشب فى القصر الملكى ابنا لبوليب الملك وميروب الملكة . شب
أوديب قوى البنية . . ذكيا . . بعيد النظر ، ولكنه كان جاهلا
بأصله .

وفى يوم من الأيام عيره شاب بأصله المجهول ، فثار أوديب
وحاول التعرف على الحقيقة ممن كان يظنها أنه ، ولكنها رسمت
على وجهها شيئا من الحداغ لتخبره انه ابنها . ولكنه ، أحس
بذلك فخرج الى معبد « دلف » يستشير وحى الآلهة ، وكما سبق
وأخبر أبوللو لايوس بما كتب عليه من لعنة نتيجة لفعلته النكراء
وجحوده لجميل ملك طنطاله ، فهاهم كهنة أبوللو يخبرون أوديب،
وقتنذ ، بتلك اللعنة المتوارثة ، وبذلك الوحي المشؤم .

يقول الاله : اذهب يا أوديب لقد قضى عليك ، أيها التعس،
أن تقتل أباك وتزوج من أمك .
ولكن لم يخبر الكهنة أوديب بمن يكون أبوه الذى سيقتله ،
ومن هي أمه التى سيقترن بها .

وكما أراد لايوس من قبل أن يقاوم القضاء بمحاولته قتل
ابنه . هاهو الابن اليوم يحاول أيضا مقاومة القضاء . . فهو يبتعد

عن كورنثة التي يعتقد انها موطن أبيه وأمه ويتجه الى أى مكان آخر بعيد عن كورنثة .

وإذا هو يسير ، غير مستهدف مكانا بعينه ، فى طريق شديد الضيق ، يفاجأ بعربة تعترضه . ويطلب منه من فيها ، بلهجة أمرة ، أن ينتحى ناحية لتمر العربيه ثم يمر هو بعد ذلك ، فيرفض أوديب ، فيعتركوا معه ، أو يعترك أوديب معهم ، وإذا به ، دون أن يدري أو يقصد ، يقتل الرجل صاحب العربيه . وإذا بمن معه يتفرون . ويمضى أوديب فى طريقه الى « طيبة » وهو لا يعلم انه منذ ابتعد عن كورنثة وهو يقترب من وطنه ، ولا يتبعه عنه كما أراد . وهو لا يعلم انه منذ لحظات قد نفذ أول ما قدر عليه ، وهو قتل أبيه . وذلك الذى ترك كورنثة كلها من أجل ان يحول دونه . ان أوديب لا يعلم ان القضاء نافذ فيه ، كما نفذ فى أبيه لا محال .

وعندما يقترب أوديب من « طيبة » يعلم بأن خطرا شديدا البأس يهددها . أن وحشا يقال له « أبى الهول » جاء الى طيبة واستقر عند أسوارها ، قابعا فوق صخرة كبيرة مرتفعة ليلقى سؤالا غريبا ملغزا على كل من يمر به ، فان هو حله أو أجاب عليه فقد صرع بحله أبى الهول ، وأن لم يستطع صرعه أبى الهول . وحتى مرور أوديب ، لم يستطع أحد أن يجيب عن السؤال أو يحل اللغز .

ونعود الى الوراء قليلا لنعرف أن سبب خروج لاويوس من طيبة كان من أجل الذهاب لاستشارة الوحى فى « دلف » من أجل التخلص من أبى الهول . ولما عرفت المدينة بمقتل ملكها . أعلنت أن من يقتل أبى الهول يصبح ملكا . . وزوجا لجوكاست الملكة .

ويعلم أوديب بما أعلن عنه ، فيقرر أن يلقي أبى الهول بقلب

وعقل ثابتين . عله يحظى بالملك والمملكة فيستقر ويهدأ ويصل الى بر الأمان بعد عناء السفر . ويذهب الى أبى الهول فيلقى عليه لغزه الذى لا يتغير :

– ماهو الحيوان الذى يسير ، فى الصباح على أربع ، وفى الظهيرة على اثنتين وفى المساء على ثلاث ؟

وبسرعة يجيبه أوديب :

– انه الانسان . وهو لا يكتفى بذلك بل يفسر له اجابته أكثر ويوضحها ويجليها ، فهو فى طفولته يزحف على أربع . . يديه ورجليه . . وحين يشب ينتصب فيسير على رجله ، وعندما يكبر ويصل لمرحلة الشيخوخة أو قرب النهاية فهو يسير على ثلاث . . رجله وعصاه .

وما أن ينتهى أوديب من كلامه حتى يجن أبو الهول ويلقى بنفسه من فوق الصخرة العالية معلنا نهايته ، وانتصار أوديب الانسان عليه .

ويصل النبأ للمدينة المنتظرة ، فتسرع بتنصيب أوديب ملكا عليها وزوجا للمكتها . ويقبل أوديب التاج واليد ، ويطمئن أوديب الى ما وصل اليه فقد أوشك على الاستقرار ، وابعد عن طريق النبوءة والوحى . ولكنه – فى الحقيقة – لا يعلم انه قد نفذ من لحظات الشق الثانى من نبوءة أبوللو . وهو الخاص بالزواج من أمه بعد أن كان قد نفذ – وهو لا يدري أيضا – شقها الأول حين قتل أباه فى ركبته فى مفترق الطرق الثلاث .

ويعيش أوديب هائنا تماما ، وينجب من أمه وزوجته جوكاست أربعة من الأبناء . ولدين : أتيوكل ، وبولونيس . . وبنتين : أنتيجون ، أسمين .

ويحكم أوديب شعب طيبة بالعدل والحق الى أن يأتي ذلك اليوم الذى تمتحن فيه المدينة بوباء الطاعون الذى يهلك كل شيء .

وأمام من يموتون كل يوم من البوباء . . وأمام صلوات الأهالى ودعواتهم ، واستصراخهم للمكهم ، أمام كل ذلك يرسل أوديب الى معبد « أبولو » من يستشير الوحي ويلتمس العون والتدبير .

ويعود من ذهب ، حاملا معه الجواب من الاله الذى يقول انه لن تنقشح الغمة عن المدينة حتى تثار للملك المقتول من قاتليه .

ويعلن أوديب فى صراحة . . وصرامة . . ووضوح بأنه يبحث بنفسه عن ذلك القاتل . وعلى الشعب كله أن يساعده على ذلك . وهو يستنزل اللعنات على ذاك الآثم . . المجرم ، الذى عرض المدينة لهذا الحال .

وبأسرع مما يمكن تنكشف الحقيقة واضحة ، أمام عيني أوديب .

— انه القاتل . . والآثم . . والمجرم . قاتل الملك أباه ، والمتزوج من أمه ، وعندئذ فقط يتبين لأوديب وجوكاست أنه لا رد للقضاء الذى كان . وأمام بشاعة الحقيقة ، وشدة إيلامها تشنق جوكاست نفسها ، بينما يفتأ أوديب عينيه .

وهكذا تكون اللعنة المكتوبة على آل لايرس قد حلت .

تفاصيل الأسطورة :

واذا بحثنا عن أصل الأسطورة — أقصد أسطورة أوديب — فسنجد إشارة لها فى « الأوديسسة » لهوميروس فى نشيدها الحادى عشر .

فبعد أن يتكلم أوديسيوس مع أشبح أمه ، وبعد أن يحاول الإمساك بها ثلاث مرات ويعجز ، نجده يلتقى بأشباح أو أرواح أخرى لنساء كن بنات وزوجات رؤساء ، وأخذ أوديسيوس يكلمهن ، ومن بين أولئك النسوة بإبل روح جوكانست فيقول :

« وأبصرت أم أوديسيوس • أبيكاستى الفاتنة ، التى قامت بعمل وحشى فى جهالة من التفكير اذ قد تزوجت ابنها • • بعد أن قتل أباه ، فتزوجها ، ولكن الآلهة كشفت هذه الأمور للبشر فى الحال • ولكن مع ذلك فان سيدا على الكادميين فى طيبة الجميلة ، يعانى المحن بسبب خطط الآلهة الضارة ، اما هى ، فقد علقت أنشودة فى قضيب عالى ، وقد استبد بها هبطت الى بيت هاديس ، الحارس القوى ، لقد الحزن ، وشنقت نفسها ، وخلفت وراءها محنا لا يسر لها • كل ذلك تقوم به ربات الانتقام من اجل أم » . (١) •

ونحن نرى أن الأوديسة قد اهتمت بأسطورة أوديب من جانب الأم أكثر من اهتمامها من جانب أوديب • فهى تجرم الأم ، أو تجعلها هى المجرمة التى تزوجت من ابنها • وليس الابن هو المجرم الذى تزوج من أمه • كما تعودنا أن نقرأ ونسمع • ثم أن الأوديسة قدمت لنا العقاب الذى نالته الأم ، ولم تشر الى مصير أوديب أى اشارة •

(١) أمين سلامة • أوديسة هوميروس • دار الأدباء بالقاهرة - ص ٢٦٨ •

ورأى آخر فى تأصيل أسطورة أوديب أو ردها الى أصلها
يذكره الدكتور عز الدين اسماعيل فى كتابه : « قضايا الانسان
فى الأدب المسرحى المعاصر » حيث يقول :

« غير أن هناك من الدارسين من يذهب بنا مذهباً آخر
فى تحقيق نشأة هذه الأسطورة ودخولها الى مجتموع
الأساطير الاغريقية ، وأعنى بذلك ما كتبه كينو عن ابر
هيروdot فى شيوخ هذه الفصاة التى ترجع فى الحقيقة
الى أصل فارسى . فهيروdot يحكى لنا على نحو ممتع
تلك المواقف الحزبية التى كانت بين الاغريقى والفارسى
فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو يقصد الى
تاريخها . (وهذا التاريخ ينطوى على قصص رائعة .
فهناك قصة تبلغ من الطول حدا لايمكن معه حكايتها
هنا . هى قصة ميلاد قورش . وهى باختصار الحكاية
العامة عن الطفل النابه الذى سيولد ، والذي سيصنع
أشياء معينة ويحاول البعض منع الولادة أو قتل
الطفل ، وتفشل المحاولة ، وتتحقق النبوءة على النحو
مفزع . وأسطورة أوديب صورة اغريقية لهذه
القصة . ومن الشائق مقارنة قصة قورش التى حكاتها
هيروdot بمسرحية أوديب الملك التى ألفها صديقه
سوفوكليس ، فهى فى جوهرها نفس القصة ،
ولكنها عند سوفوكليس تحمل مزيدا من الدلالة
لا حد له (١) .

(١) عز الدين اسماعيل ، قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر . ص ٦١
دار الفكر العربى - القاهرة .

ونظرا لأن مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس هي من أهم المعالجات وأولها لأسطورة أوديب ، وأيضا لأنها العمل اليوناني الوحيد الذي يعالج أسطورة أوديب والذي تبقى على مر الزمن فتأثر به عدد كبير ممن عالجوا أو استوحوا من الأسطورة ، فلذلك سأنتقل في دراستي من مسرحية سوفوكليس .. وأعبرها مباشرة متجها إلى المسرح الفرنسي المعاصر ، ومنه إلى مسرحنا المصري ..

الباب الأول

مسرحية « أوديب ملكا »
لسوفوكليس

الباب الأول

مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس

لكن ماذا فعل سوفوكليس بثلث المادة التي كانت متوفرة لديه ومعروفة مسبقا من قبل كل شعب اليونان ؟

لقد جعل سوفوكليس مسرحيته تتعرض للجزء الأخير من الأسطورة منذ المام الوباء بالمدينة وأمر الالهة بعقاب قاتل الملك . . سبب الرجز . . والطاعون . ثم استكشاف القاتل وما تبعه من عقاب نفسه . ولعل سوفوكليس بتحديد مسرحيته في هذا الحيز قد جعلها تتميز بوحدة الزمان والمكان اللتين كثيرا ما نصت عليهما نظريات الدراما واللتين تعتبران المسرحية التي تتمتع بهما الى جانب وحدة أساسية هي وحدة الحدث ، تعتبر مسرحيته جيدة . فالمسرحية تدور أحداثها في مساحة زمنية محدودة جدا لا تزيد على دورة شمسية واحدة . كما أن مكان المسرحية في مدينة « ثيبة » أو طيبة أمام قصر الملك . حيث لا نجد هذا المكان يتغير أو يتبدل .

وأما عن وحدة الحدث ، فالمسرحية كلها حدث واحد رئيسي اصطلاح على تسميته « حدث أو حبكة اكتشاف Recognition Plot

حيث نجد أوديب من بداية المسرحية ظل يبحث عن الشخص المجهول الذى جلب على أهل «ثيبة» أو طيبة لعنة الآلهة ثم بعده التعرف أو الاكتشاف Anagnopsis or Discovery يتوصل أوديب الى معرفة ذلك المجهول .

وهو حدث مركب ، كما قال أرسطو ، وليس بسيطا ، لحدوث التعرف Recognition ثم التحول والانقلاب «Reversal» أقصد تعرف أوديب على القاتل مما أدى به الى اكتشاف كونه قاتل أبيه وزوج أمه وأخ أولاده - لأمه وتأكده من تحقق النبوءة التى حسب لها ألف حساب . ثم التحول فى شخصيته من السعادة التى كان عليها منذ بداية المسرحية وحتى لحظة الاكتشاف الى التعاسة التى بدأت باكتشافه مقتل زوجته وأمه جوكاست ، ثم فقاه لعينه بمسبكها الذهبى . وقد جعل سوفوكليس التحول يعقب الاستكشاف مباشرة ليقوى بذلك من حبكة المسرحية ويؤدى الى الغرض منها . ذلك الغرض المأسوى الذى قال عنه أرسطو أنه التطهير أو الـ «Catharsis» ذلك الذى وصل اليه سوفوكليس عن طريق اثارة عاطفتى : الشفقة والخوف ، الشفقة من جانب المتفرج على المصير الذى لاقاه بطل المسرحية أوديب وبطلتها جوكاست . والخوف من أن يفعل المتفرج مثلما فعل بطلا المسرحية فيصاب أو يصل لنفس المصير المأسوى ، المؤسف الذى وصل اليه بطلا المسرحية .

وأستطيع أن أحدد بداية الحدث ببداية المسرحية وحتى لحظة التآزم أو الأزمة أو الذروة «Climax» تلك التى تبدأ خطوة خطوة . تبدأ بمفاجأة لأوديب حيث نرى الرسول يفاجئه قائلا :

الرسول : لأن يوليوبوس لم تكن بينك وبينه صلبة النسب . . .
فيرد أوديب :

أوديب : ماذا تقول ؟ لم يكن يوليبيوس أبى .

الرسول : لم يكن أباك كما انى لست أباك .. لأنه لم يلدك
كما أنى لم ولدك .. لقد تلقاك هدية منى .. ذلك لأنه كان
عقيما لا ولد له (١) .

الى ان يصل الحدث الى ذروته « Climax » فيكتشف أوديب
الحقيقة قائلا :

أوديب : واحسرتاه .. واحسرتاه .. لقد استبان كل شيء .
أيها الضوء ، أيها الضوء لعلى أراك الآن للمرة الأخيرة . لقد
أصبح الناس جميعا يعلمون ، لقد كان محظورا على أن أولد
لمن ولدت له وأن أحيا مع من أحيا معه . وقد قتلت من لم يكن
لى أن أقتله (٢) .

وينتهى بذلك الحدث الصاعد « Rising Action » ينتهى عند
الذروة لبدأ بذلك الحدث المنهبط « Falling Action »
ذلك الذى يلى ذروة التآزم والذى يشمل نصف المسرحية الثانى .
أو الجزء الأخير منها .

وبعد الحديث عن وحدتى الزمان والمكان . ثم وحدة الحدث
انتقل الى الشخصيات ، وأبدأ الحديث عن الشخصيات بالحديث
عن الجوقة أو الكورس « Chorus » تلك التى استخدمت فى المسرح
الكلاسيكى اليونانى كشخصية .. وان كانت منفصلة عن
شخصيات المسرحية الرئيسية فهى هنا شخصية أهل « ثيبة » ممثلة
فى خمس عشرة من اشراف المدينة . يعبر على لسانها المؤلف

(١) و (٢) سوفوكليس - من الأدب التمثيلى اليونانى - ترجمة د. طه حسين
القاهرة - دار المعارف بمصر .

عن ما أصاب المدينة ، وإن كان يقسمها أحيانا الى فريقين كل يتحدث عن شيء . ثم يضم صوتيها الى بعض ليصبحا بذلك صوتا واحدا هو صوت المدينة أمام أوديبيوس .

فنحن نراهم يقولون :

« انى لابدأ بدعائك يا ابنة زوس ، انى لأسألك أى أثينا الخالدة كما أسأل اختك أرتيميس ، هذه التى تجلس على عرش مخيد مستدير فى الميدان الصغير بالمدينة ، واسأل أبوللون . أسألكم جميعا أن تقبلوا على وان تعينونى ان كنتم قد رددتم على المدينة نار الشقاء .

بينما القسم الثانى من الجوقة يردد فى حلقة :

واحرثاه انى لا أحتمل آلاما لاتحصى لقد سرت العدوى فى الشعب كله ، وعجز العقل عن ان يخترع سلاحا يذود به عن انسان ، لقد جمدت ثمرات الأرض فى لاتنمو ، وهمدت الأمهات فهن لا ينهضن من مراقدهن قد ألحت عليهن آلام الوضع . وجعل الموت يرسل ضحاياهم متتابعة فى سرعة النار التى لا تبرد الى آلهة الجحيم » (١) .

والجوقة بذلك تقوم أيضا بالتعليق على الأحداث . كما تقوم بالغناء والانشاد فى الفقرات الغنائية التى كانت تتخلل المسرحية لتتيح للممثلين محدودى العدد فرصة تغيير ملابسهم لاداء أدوار

(١) المرجع السابق

أخرى . وتسمى تلك الفقرات التي تغنى فيها الجوفة
« استاسيمونات » « Stasimons- »

أستطيع أن أقول ان التراجيديا اليونانية هي تراجيديا
البطل الذى بدوره لا تصبح هناك تراجيديا على الاطلاق . والبطل
فى أوديب هو أوديب نفسه . فبدون شخصية أوديب ما كانت
هناك دراما ، لأن بدوره لا يكون هناك صراع أو « Conflict »

وشخصية أوديب هي بعينها شخصية البطل التراجيدى
الأرسطى أو شخصية البطل التراجيدى الذى حدد أرسطو معاله
فى كتابه « فن الشعر » فقال :

« وهو ذلك الذى لا يتميز بالنبالة ولا بالعدالة ، ولكنه
لا ينتقل الى حال الشقاء لخيبته ولا لشره بل لذلة أو ضعف ما ،
ويكون من أولئك الذين يعيشون فى عزة ونعمى ، مثل أوديبوس » .

وعن التغير فى الشخصية يقول أرسطو :

« وإن التغير لا من شقاء الى سعادة بل - على العكس - من
سعادة الى شقاء ، ولا بسبب الخيب والشر بل بسبب ذلة
عظيمة » .

ولو طبقنا مواصفات أرسطو للبطل على أوديب نجدها
تنطبق تمام الانطباق عليه . فأوديب لا يتميز بالنبالة ولا بالعدالة
فحسب أو على طول المسرحية ، ولكنه ليعيب فيه أو ذلة لعلمها
كبرياؤه الأكثر من اللازم ، والتي تتسبب فى مقتل أبينه
- دون علمه - ذلك العيب أو تلك الزلة (أو السقطة التي تسمى
الهmartia « Tragic Flaw' or « Hamartia » هي التي تسببت فى
تحوله من السعادة الى الشقاء بعد اكتشافه لحقيقة كونه قاتل أبيه

وزوج أمه مباشرة . وهذه الهمارتيا التي تسببت في كل ذلك لم يكن سببها خبث أو شر في طبيعة أوديب : ولكن سببها طبيعة تكوين شخصية أوديب وتوارث هذه الشخصية للعبة الآلهة . تلك اللعبة اليونانية الشهيرة التي صبتها الآلهة على لا يوس والد أوديب من قبل بسبب فعلته النكراء مع ملك طنطاله ، وحيث أطلعت النبوءة على ما ينتظره من أن هناك ابنا سيولد له كتب عليه ان يقتل بيده . وان يتزوج هذا الابن من زوجته (أقصد زوجة لا يوس) ولكن لا يوس قد حاول التخلص من نبوءة الآلهة التي لا ينبغي لانسبان ان يتخلص منها ، حيث طرح ابنه على قمة جبل كشيرون . نتيجة لذلك حدث ما عرف بتوارث اللعبة . أى اللعبة المتوارثة لهذه الأسرة جيلا بعد جيل .

أسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى المعاصر

الباب الثانى

مسرحية أوديب «Oedipe» د ١٩٣١

لأندرىه جيد « André Gide »

الباب الثانى

مسرحة « أوديب »

لاندريه جيد

كلمة عن المؤلف أندريه جيد :

ولد أندريه جيد فى باريس عام ١٨٦٩ وتوفى بها أيضا فى عام ١٩٥١ .

ويرتبط اسم أندريه جيد أو يقترب باسمين كبيرين هما :
مارسل بروسـت « Marcel Proust » الذى ولد عام ١٨٧١ ،
وول فاليرى « Paul Valéry » الذى ولد أيضا فى عام ١٨٧١
الذين سيطروا ثلاثتهم على حركة الأدب الفرنسى فيما بعد الحرب
العالمية الأولى .

وقد نشأ « جيد » نشأة دينية وأخلاقية قيل عنها انها
متزمتة حتى انها أثرت على فنه وحياته بوجه عام . فكان دائم
البحث فى العادات المتوارثة والتقاليد الأخلاقية أو الاجتماعية
أو السياسية .

« والذى لا شك فيه ، انه ما من أديب فرنسى فى هذا القرن
كان له من التأثير على الجيل الذى تلاه من الكتاب مثل ما كان
« لاندريه جيد » . وقد كان رائده دائما أن يسبق أفكار عصره
ويبشر بأفكار العصر المقبل ، لا أن يردد الأفكار السائدة ويتملق

عواطف الجماهير .. ولعل هذا يفسر السر في ان كتبه لم تكن تلقى عند صدورها النجاح التجارى المرجو لمثلها .

وفى سنة ١٩٤٧ منح جيد ، جائزة نوبل العالمية فى الأدب .. وسجلت اللجنة التى منحتة الجائزة فى « حيثيات » قرارها انه استحقها من أجل مؤلفاته الكثيرة التى صاغها فى قالب فنى والتى استعرض فيها مشكلات البشر وأحوالهم بشجاعة وشغف بإظهار الحقيقة وبإدراك سيكولوجى عميق « (١) » .

واهم أعمال اندريه جيد :

- يوميات اندريه والتر « Les Cahiers et les Pensées d'André Walter » عام (١٨٩١) .
- الأغذية الأرضية (١٨٩٧) .
- سول « Saul » (؟)
- اللا أخلاق « L'immoraliste » علم (؟)
- الباب الضيق « La Porte étroite » عام (١٩٠٩)
- كهوف الفاتيكان « Les Cavés du Vatican » عام (١٩١٤)
- السيمفونية الريفية « La Syamphonie Pistorale » عام (١٩٢٠)
- مزيفو النقود « Les Paux Monnayeurs » عام (١٩٢٦)
- ثم « أوديب » « Oedipe » (١٩٣١)

(١) حلمى مراد . أوديب . مقدمة مسرحية اندريه جيد - ت : طه حسين
مطبوعات كتابى - القاهرة .

ملخص المسرحية

الفصل الأول :

تنقسم الجوقة الى قسمين أحدهما يتجه الى الجمهور ويخاطبه مباشرة متجنباً أوديب ، وهو حديث أشبه بما نطلق عليه في لغة المسرح « التجنّيب » أو الـ « a Side » حيث تقول الجوقة للجمهور انها من المفروض أن تمثل أكبر عدد ممكن من الناس أى من شعب طيبة ، وهى - أى الجوقة - تعلن دهشتها وحزنها أمام أوديب التى ترى أنه من المستحسن ان يستشير « ترزياس » فهو بذلك سيسترضى الآلهة بانحيازه الى أحد رجال الدين .

بينما نجد جوقة اليمين تتوجه لاوديب ، مباشرة ، فتقول له انك سعيد أما نحن فلسنا سعداء . وكم أردنا ان نخفى ذلك عليك لكن لم نستطع ذلك ، ان الطاعون يدفع المدينة نحو الهلاك رغم ان أسرتك قد عوفيت منه الى الآن ، ولكن عليك ألا تنفصل عنا وتتركنا هكذا فى معاناة واثت مليكنا .

ثم تعلن جوقة الشمال أن أوديب قد أرسل كريون صهره الى معبد الآلهة وما هى الا لحظات حتى يعلن أوديب عن رؤية كريون قادما من بعيد . وعندما يحضر كريون يطلب منه أوديب أن يتحدث اليه على افراد (كما فعل كريون - سوفوكل مع

أوديب منذ قرون طويلة) الا ان كريون - أندريه جيد يقابل
برفض أوديب كما قابله كريون - سوفوكل ، حيث يطلب أوديب
منه ان يعلن كل شيء أمام الناس . بل انه يطلب من كريون أن
يدعو جوكاست زوجته وأبناءها الأربعة لحضور ذلك الموقف .

ومن خلال حديث أوديب عن أولاده نعرف أنهم ليسوا أطفالا
ضغارا ، بل فيهم جراءة وأقدام . ولذلك يجب أن يشاركون في
الانشغال ببعض الهم شأنهم شأن الجميع .

وأمام الجميع ، يعلن كريون أن ،الاله لن يحول غضبه عن
« ثيبة » أو « طيبة » حتى يثار للايوس القتل .

ومن هنا تبدأ التساؤلات في الطفو ، ويتجه الحدث نحو
التعقد أو التعقيد ، ان أوديب يعلم ، وللمرة الأولى ، ان قاتل
لايوس لم يعاقب بعد .

ويسأل جوكاست عن سبب جهله ذلك الى تلك اللحظة .
فتخبره أنه ذاته هو السبب فكلما حدثته عن ذلك قاطعها قائلا :

« كلا ، لاتحدثيني عما مضى ، فلست أريد أن أعلم من أمره
شيئا ، لقد بدأنا عصرا ذهبيا . كل شيء يتجدد » (١)

ولذلك يثور أوديب ويصيب لعناته على ذلك الذي قتل
الملك لايوس . ثم يسأل جوكاست عما مضى من وقت على مقتل
لايوس . فتجيبه جوكاست بأنه (تقصد أوديب) قد خلف لايوس
بعد ستة أشهر من مقتله ٠٠ وقد مضى على ذلك عشرون عاما فيدخل
القاعة ترزياس مع انتيجون واسمين . فيعبر أوديب عن ضيقه به
ويقول انه يقحم نفسه دائما في أمور الناس . « من طلب اليه
الحضور » ؟ . بينما تنهاه جوكاست عن البوح بذلك أمام أولاده

الذين يتلقون العلم على يد ترزياس . ولكن ترزياس رغم ظلمة عينيه إلا أنه يتمتع بنور مصدره بصيرته المستنيرة . فهو يمتنع عن الكلام عندما تطلب منه الملكة أن يتكلم . ثم يقول :

« لا أريد أن أسوء الملك » (١)

إلا أن أوديب يحدد ، منذ البداية ، اللون الذي سيعامل به ترزياس . ففي تسوة يقول له :

« لا يسوءنى ما يقال بمقدار ما يسوءنى ما تضره النفوس ولا تقوله الألسنة » (٢)

وعندما يبدد ترزياس الصمت فهو يتكلم عن شقاء الشعب ويقول :

« إن الآلهة ينشئ صلة خفية بين السعادة التي تتاح لقليل من الناس ، والشقاء الذى يفرض على أكثرهم » (٣)

بل إن ترزياس يتهم أوديب بعدم اكتراثه بالآله ، وعدم اضطرابه أمامه خوفاً . رغم أن الآلهة يشهد رضاه عن الإنسان الذى يخاف منه ويضطرب أمامه رغم عظم شجاعته أمام الناس . ويجيبه أوديب بأنه لم يتعود الاضطراب أو الخوف ، ولذلك فقد هزم أباً الهول .

ثم تشترك الجوقتان فى تأنيب أوديب وتحذيره من خطرس ترزياس .

ويتحدث أوديب وترزياس . فيقول ترزياس إن على

(١) ، (٢) ، (٣) ، إنديره جيد . أوديب . ت : طه حسين . مطبوعات كتابى - القاهرة .

الجميع ان يندموا على ما قدمت (اقترفت) أيديهم ، فلا يوجد انسان وقد برىء من الخطايا . ويشترك « بولينيس » - الابن - فى الحوار ، فيروى ما رآه غير بعيد عن القصر من جماعة من المصابين بالطاعون وقد دنسهم برازهم وقيؤهم وهم يعينون بعضهم بعضا على الموت . (ما أقسى الصورة !) .

ومن شدة المنظر الذى يصفه « بولينيس » نجد «اسمين» وقد أغشى عليها . فيطلب أوديب من جوكاست ان تخرج الأولاد . ليخلو أوديب للتفكير ، ويخرجون جميعا وترزياس ، ليتبقى كريون مع أوديب ، حيث يلوم كريون أوديب على القسم الذى أقسمه منذ قليل والذى كاد ينساه الآن . ذلك الذى توعد فيه وعيدا لقاتل الملك لا يوس .

ومن كريون يعلم أوديب بحرص جوكاست المستمر على سعادته ، فيعبر أوديب عن حبه لها الذى هو حب البنوة والزوجية معا ! ويتساءل أوديب : « أكانت جوكاست تحب زوجها الأول ؟ »

ويخبره كريون بانها كانت تحبه أقل مما تحبه (يقصد أوديب) بلا شك وعندما يسأل أوديب عما اذا كانا قد رزقا الولد . فيخبره كريون أنهما لم يكونا يريدان الولد ويروى له ما كان من الوحي . فيزداد به تخوف أوديب . فيخبره كريون انه يجب عليه - كملك - الا يهتم بهذا الوحي الذى يسبغه الشعب . فخوف الشعب من الوحي ، يجب ان تقابله استقادة من جانب الحاكم حيث يستخدمه الأخير لتقوية الملك والحكم والسلطان . وذلك بتأويله كيفما يشاء . ويؤيد كريون رأيه بما يظنه قد حدث بوحي المعبد للايوس نفسه . لقد أنبأ الوحي ان لا يوس سيموت بيد ابنه ، ولكن هلك الابن ، وقتل الأب ولكن بيد غريبة .

ثم يطلب كريون من أوديب الا يهتم بالقاتل كثيرا فهو الذى يرجع اليه الفضل فى كون أوديب ملكا الآن • فعليه ان يحسن اليه لا ان يعاقبه •

وبينما أخذ أوديب يعبر عن تخوفه من ترزياس ، نحوه مقبلا من بعيد ، وعندما يقترب ترزياس من الملك ينقل اليه رغبة الملكة فى ان تتحدث اليه بالداخل • فيبتعد أوديب ، تاركا ترزياس يتحدث لكريون عن رغبته فى مساعدة كريون على أحداث صدع فى سعادة أوديب المطمئنة الآئمة • ليصل الاله الى قلبه عبر هذا الصدع • ثم ينقل ترزياس لكريون احساسه بافلات ابنى أوديب: اتيوكل ، وبولينيس منه ويقول له :

« انهما يريان أن من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذى ينبغى أن يلعن له كل انسان » (١) •

ثم يقول ترزياس :

« ان شعب طيبة يرى ان ما يلزم به من الكوارث انما هو عقاب على ما يظهر ملكه من الاتحاد » (٢) •

تدخل جوكاست لتعلن ان أوديب حزين جدا بعد علمه برغبة ابنته انتيجون فى ان تخلص للدين لتصير كاهنة • فنجد كريون يؤيد موقف أوديب • بينما يتخذ ترزياس موقف المعارض لهما • وتعبّر جوكاست عن رغبتها فى أن ترد أوديب الى طاعة الاله بمساعدة ترزياس الذى تظن ان من طريقه يأتيهما العلم بارادة الاله • التقدير •

وينتهى الفصل الأول من المسرحية

(١) ، (٢) اندريه جيد • أوديب • ت : طه حسين • مطبوعات كتابى •

الفصل الثانى :

تدور أحداث الفصل الثانى فى نفس مرزح أحداث الفصل الأول بعد انقضاء ليلة • فنرى أوديب وكريون يتحادثان فى موضوع كأنما يدآه قبل ان ينفرج الستار عليهما • يعبر كريون ، فى بداية الفصل ، عن رضاه عن هذا التباين البين بينه وبين أوديب • فهو يقيده الماضى ، ومن أجل ذلك فهو يحترم التقاليد • والعادات • والقوانين (وان كنا نلاحظ ان هذا الكلام يخالف رأيه كأحد أفراد الأسرة الحاكمة لطيفة فى احترام القوانين فى الفصل الأول • حيث كان يطلب من أوديب : أن يستفيد كحاكم من موضوع الوحى والقاتل والوباء) • بينما أوديب له الابتكار • والتجديد ، وهو يتمتع بعقل مجدد متجدد • مغامر • جريء • • وان كان كريون يحاول ان يحول بين أوديب وبين اندفاعه ومغامراته الجريئة التى تهدد نظام الجماعة •

يبدو كريون ، من الوهلة الأولى ، منفذا لما طلبه منه ترزياس فى الفصل الأول من المسرحية • ان كريون يشعر بكل فرد فى الأسرة ، أو هكذا يخبر أوديب ، فهو قلق على صحة أسمين • وعلى صحة جوكاست أيضا ، التى تبدو غير متمتعة بكامل صحتها منذ أيام لقلعها على الشعب الشقى • حتى أتيوكل وبولينيس ، فهو يخبر أوديب أنه مطلع على ما يظهرانه من عدم استماع لاستأذهما الكيس ترزياس ، ويقول له ان ذلك قد وراثه عنه •

وبسرعة ، يتحول الحديث الى طفولة أوديب نفسه • • حيث يتساءل كريون عما دفع أوديب الى مغادرة قصر «بوليب» فى كرنث •

ويخبره أوديب انه ترك القصر لأنه كره التدليل . . وكان معتقدا انه ابن بوليبي وميروب . وترك القصر بعد ان أخبره كاهن بأنه قد كتب عليه ان يقتل اباه . ولكنه قبل ان يغادر القصر قرر ان يصارح بوليبي بما قد سمع من الكاهن . فيخبره الملك انه ليس ابنه ، وانما تبناه . . ولم يستطع بوليبي ان يبين له عن حقيقة أبيه شيئا ، فقط حدثه عن أن راعيا له قد وجده في الجبل وقد علق من رجله في شجرة بعيدة .

ويتساءل كريون . . لماذا غادر أوديب قصر بوليبي وقد تأكد من انه ليس ابنه وبالتالي فلن تصدق فيه النبوءة ؟

ويجيب أوديب بأن طبيعته ، التي فطر عليها ، تكره الاستئثار بما ليس له ، ولما كان يوما سيرتقي عرش كورنثة بعد بوليبي ، وهو يظن ان ليس له الحق في ذلك ، فقد دفعه ذلك الى الاسراع بترك بوليبي وقصره .

ويلمح أوديب بولينيس وانتيجون قادمين فيختفي هو وكريون ليتسما سويا ما سيقال . وهنا نجد اندريه جيد يفسح المجال أمام الأبناء ويدور حديثهما الذي يعبر عن فلسفة كل منهما . فبولينيس لا يؤمن بالعبادة ولا بالدين . فالعبادة في نظره تقف في طريق التفكير الحر . بينما تؤمن انتيجون بالدين والاله الذي تصدر عنه كل فضيلة فتؤمن به انتيجون كل الايمان .

وفجأة ، وبدون سابق مقدمات ، نجد بولينيس - الأخ يسأل أخته انتيجون عما اذا كان من المحرم أن يتزوج المرء من أخته .

فتنهاه انتيجون عن ذلك ، بعد أن تفهم انه يشتهيها كأنثى . ويقطع ذلك تعليق كريون على الحدث حيث يقول لأوديب أنه يرفض زواج المحارم ، فينهاه أوديب عن الكلام ليستكمل استراق السمع .

ويستمع أوديب هذه المرة لاسمين وأتيوكل ، حيث تعبر
أسمين عن اختلافها عن اختها انتيجون تمام الاختلاف ، ولكن
أتيوكل ويقول أنه على العكس ، يتشابه مع بولينيس تمام التشابه .
ويضحكان . ثم يخرج أتيوكل ، وتدخل انتيجون لتقول
لأسمين كيف تضحكين والشعب في حداد ؟

ويكون رد أسمين ان انتيجون لا تضحك حتى في أكثر
الأوقات سعادة . ومن ثم فهي تحرم عليها الضحك .

وتخبرها انتيجون ان السعادة في الحياة يجب ألا تقارن بما فيها
من تعاسة وشقاء . وتضيف انتيجون ان السعادة لبعض الناس
تقلقها ، وحتى سعادة أوديب هي مبعث قلق لديها . فهو في نظرها
ملحد .

وبعد ان تخرجا ، يعلق كريون على الأحداث ، معبرا عن فرحته
بهؤلاء الفتية الذين يحسنون الحديث . وبانتيجون التي تتحدث
حديثا عميقا جدا ، عجز هو عن ان يقوله لأوديب .

ويعود أوديب وكريون ليكملا الاستماع الى الابنين اللذين
يتضح من حوارهما انهما غير مؤمنين بالكتب التي يقول ترزياس عن
أصحابها انهم « أصحاب التفكير القويم » بينما يطلق عليهما لفظة
« أصحاب التفكير المعوج » لأنهما يخالفان المؤلف . فأتيوكل يبحث
الآن في الكتب عن نص - ولو غير صريح - ليبيح له ان يتخذ
أسمين زوجة له أو عشيقه .

ويعلق كريون على ذلك بتعبير « وقح » ،
بينما يتساءل بولينيس : « أسمين ، أختك ؟ »
فيجيبه أتيوكل مؤكدا : « اختنا » .

فيطلب منه بولينيس ان يطلعه على هذا النص ، ان وجده ،
 فيبدو انه يفكر في نفس ما يفكر فيه . ومن هنا يبدأ الخلاف
 والشقاق بينهما . ويظهر أوديب . ويتقدم نحوهما ، ويثنى عليهما
 وان كان يطلب منهما الابتعاد عن اختيهما . وعدم التفكير فيهما بمثل
 هذا الشكل الشاذ .

ثم يتحدث معهما عن ترزياس . تصرفاته . وأخلاقه ،
 ويدخل ترزياس ليلوم أوديب على ما فعل مع أبنائه . ويضيف انه
 بذلك لن يعلمهما الا الكبرياء .

وينصرف الأبناء ، على رغبة أوديب ، الذي أخذ يتحدث مع
 ترزياس عن الايمان والاحاد ، ثم يتفرع الحديث ليصل الى حيث
 الجريمة التي يقول أوديب انها دنست يده وجعلته لايقرب المعابد
 حين كانت في نفسه بقية من ايمان ويتحدث أوديب عن جريمة قتل
 لايوس الذي ظنه رجلا عاديا مجهولا . ويتحدث بعد ذلك عن قتله
 لأبى الهول .

ويفتح ترزياس ، بعد ذلك ، عيني أوديب على شقائه .

« لقد استرد الاله منه حقه في أن يكون سعيدا » (١) .

ويخرج ترزياس بعد ان يكون قد ورط أوديب في الحقيقة
 التي لا يعرفها رغم مرور سنوات طويلة .

« لقد مضى وقت الطمأنينة ، وأفاق أوديب من سعادته » (٢)

ليسدل الستار على :

الفصل الثاني من مسرحيتنا

(٢٠١) اندربه جيد . أوديب . د . طه حسين مطبوعات كتابي : القاهرة

الفصل الثالث :

ينفرج الستار عن هذا الفصل لنجد أوديب يعبر عن رغبته الملحة في معرفة كل ما تعلمه جوكاست عن حادث مقتل الملك . وهو يؤكد ذلك بحركة امساكه بمعطف جوكاست الملكي ترجمة لشدة خوفه من تهربها أو هربها منه .

وهو يسأل عن ذلك في حين انها تحاول مراوغته . يسأل أوديب جوكاست عما اذا كانت تعرف بموت لايوس وقت ان دخل أوديب طيبة بعد ان قتل أبا الهول ؟

فتجيب جوكاست عن سؤاله بتساؤل يدل على سذاجة سؤال أوديب فتقول :

« كيف أعد بالعرش قاهر أبى الهول دون أن أعلم انى أيم» (١)

فتسأله جوكاست لماذا يريد ان يتهم نفسه . . فيصفها بالتعجل . وترد عليه بأنها لا تتذكر بالتحديد أى شيء عما يسأل عنه . وعليه ان يتجه بأسئلته الى كريون ، الأعم منها بكل ذلك . فيعيد عليها أوديب ماسبق وقاله كريون له من انه يجب أن يكافأ بدلا من عقابه . فهو سبب ارتقاء أوديب العرش .

ويعود أوديب ليسأل جوكاست : « وهل كنت تعلمين بموت الملك ؟ »

(١) المسرحية ص ١٨٨

فتغير جو كاست من مسار أو اتجاه حديثه بعض الشيء
بقولها :

« لست أعلم الا شيئاً واحداً وهو انى لم أكد أراك حتى
أودتك » (١) •

ولا يهتم أوديب بذلك ، بل يعاود تساؤلاته ، فتنهاه جو كاست
عن ذلك الذى ينبش فيه وقد تناساه المؤرخون ولم يلتفتوا اليه •

فيفاجئها أوديب بأنه قاتل لايوس • وتطلب منه جو كاست
ان يخفض صوته • ويبدأ أوديب فى قص الحادثة عليها •

وتطلب منه جو كاست ان يعرفها لماذا يرغب فى معرفة الحقيقة
التي ستجلب عليه الشقاء ، وتسأله : « هل لا تشفق على سعادتك؟ »

فيجيبها : « بأنه شديد الحاجة الى معرفة الحقيقة مهما
كلفته » (٢) •

وانه لا يريد سعادة مبنية على جهل أو تجاهل أو خطأ •

وينادى أوديب على ترزياس الذى يظهر على خشبة المسرح
ملبياً النداء فى صحبة كريون فيعترف له أوديب أنه ابن الملك الذى
قتله •• ابن لايوس الذبيح •

فيذعر كريون من أوديب الذى هو زوج أخته وابنها • ويحزن
من أجل أوديب الذى طالما أحبه • ويعجز عن تخيل ذلك الوضع
الجديد الغريب والغير مألوف ويعبر أوديب عن ضيقه بالكفاءة
البغيضة التي منحها بعد حله للغز • واللفز الجديد الذى يعجز

(١) المسرحية ص ١٨٩ •

(٢) المسرحية ص ١٨٩ •

عن حله الساعة • فمنذ لحظات كان يهني نفسه لجهله حقيقة أبويه
رغم انه كان متزوجا من أمه بعد ان قتل أباه •

لقد كان أوديب يحب جوكاست – وان كان يجهل انها أمه –
حب الزوج الى جانب حب الابن •

ويعلن أوديب ما قرره من مصير مظلم لنفسه ، فتأخذ الشفقة
ترزياس ليقول له :

« صحيح انك ابن الخلفاء والخطيئة • لكنك يجب أن
تولد اليوم من جديد ، بعد ان جدد الألم شخصك •
وعليك ان تقبل من الآن على الاله الذي انصرفت عنه
طويلا » (١)

ويرفض أوديب ما قاله ترزياس ، أو هو لا يقبله ، ويقول
انه كان مجبرا • فيرد ترزياس ان هذا الجبر كان من قبل الاله
الذي بيده وحده ان يرفع عنه الضر الآن • ويطلب ترزياس من
أوديب ان يعلم الشعب بما حدث ، فيوافقه أوديب على ان يقوم
ترزياس بهذه المهمة فيخبر الشعب ، ويخبر أبناءه بهذه الجريمة
التي لا يعرف كيف يسميها •

ويخرج ترزياس • بينما تتساءل جوكاست لماذا يذيع أوديب
ما ينبغي أن يظل بينهما مكتوما • وتخبره بان ذلك مازال ممكنا •
وأنها قد نسيت الجريمة • • تلك التي اتاحت – في نظرها –
سعادتها ، ثم تضيف أن لا شيء قد تغير بعد تلك الجريمة •

ويثور عليها أوديب ، ويقول لها أن كل شيء قد تغير •
فتحاول جوكاست ان تلقى بتبعة ما حدث على اكتاف الاله • فيقول

لها أوديب انه كان في البداية ، يعتقد أن الها يهديه ، وكان يستمد منه الثقة بسعادته ، ولما أهمل أوديب اعتقاده ذلك أصبح يسير بغير هدى . فكان ينظر الى نفسه نظرة خاصة جعلته يوما يستغنى عن لفظة « اله » ويثور بعد ذلك على كل ما يرتبط بالاله من وحى . ويسخر منه ويسخط عليه . ثم ينصرف أوديب . الا أن كريون يطلب من جوكاست الا تدعه أو تتركه بمفرده .

وقبل ان تنصرف جوكاست . تناجى نفسها وحدها وهي تروى ما فعلته مع أوديب . انها تراثه في البداية ، ثم تقول بانها بذلت قصارى جهدها حتى تمنعه من تمزيق قناع سعادتهما ، الا انه مزق القناع ليتركها عارية ، لا تقوى على مواجهته الآن . كما لا تقوى على مواجهة الأبناء والشعب . لقد اصبحت كريمة في نظر نفسها . . (يالنعاستها !) .

ثم تخرج جوكاست بعد ان تدخل الجوقة المقسومة الى قسمين ، فيتجاوران معلقين على الأحداث التي وقعت ، ومنبئين بتلك التي في طريقها للوقوع . ثم يندبان معا (قسمي الجوقة معا) حظ ملكهم أوديب التعس .

ويدخل تريزياس بأبناء أوديب الذين أخذوا يتحاورون حول العرش والملك ، وبينما هم كذلك اذا بهم يستمعون ، فجأة الى صياح قوي فتتساءل الجوقة عن هذا الصياح . بينما تعبر « أسمين » عن خوفها فتأخذها « انتيجون » الى جوارها . . ويدخل عليهم كريون خارجا من القصر معلنا عما حدث .

لقد شنقت جوكاست نفسها . ولم يستطع كريون اسعافها ، ثم انتزع أوديب مشابكها من معطفها الملكي . ثم دفع بها بسرعة في عينيه ليصدر صياحا عنيفا بعد ما سال منه من دم وصديد أصاب كريون نفسه وهو البعيد .

لقد صاح أوديب صياح الروع ٠٠ ثم صياح الألم ٠

وبينما هم كذلك يتساءلون عما عساه يفعل الآن ٠ نجده يقدم علينا متردد الخطى فتسرع « انتيجون » اليه فيتعرف عليها دون أن يراها ٠ ويطلب منها محادثة ترزياس ٠ ويسمعه ترزياس فينصت اليه ، فاذا به يصيح فيه - فقد كان ترزياس يحسده على نور عينيه - ولكنهما الآن متعادلين ، الا أن ترزياس يرد عليه بأنه لم يدفعه الندم الى فقء عينيه ، بل دفعه الكبرياء ، وشتان ما بين الاثنين ٠

ويدخل كريون ، ليعبر عن سعادته المشوبة بالحزن ، لقدرة أوديب على الاحتمال وان كان مبعثه الحقيقي هو ان يعلم أوديب عن انه لن يستطيع البقاء في طبيبه بعدما كان ، وبعد ان علم الشعب بالجريمة ٠

وبينما الجوقة تطلب انفاذ أمر الاله في أوديب نجد كريون ينقل لأوديب وترزياس ولنا مطامع كل من : أتيوكل ، وبولينيس في العرش منذ الآن ٠ وقبل مغادرة أوديب لطيبة ٠ ونظرا لكونهما صغيرا السن وحديثا عهد بشئون الملك فسيتولى كريون الوصاية على العرش من جديد ٠

ويعبر ترزياس عن دهشته من أوديب الذي لم يتأثر لما قاله كريون عن تنازع ابنيه ٠

فيقول أوديب انه سيتترك لهما - عن رضا - كل شيء توصل اليه بصعوبة ليصلانه بسهولة ويسر ٠

وتعبر انتيجون عن رغبتها في مرافقة والدها ، فيذكرها ترزياس برغبتها في الاخلاص للاله ٠ فترد عليه بانها - في صحبة

أبيها - ستكون مخلصه تماما للاله • ثم تطلب من والدها أن يضع
يده على كتفها حتى تقوده الى حيث يريد • فهي لن تكل أو تمل •

ولكن أوديب يخبرها انه لا يعرف الى أى هدف يسير •
فلا وطن له ولا أسرة •

وتتكلم « أسمين » معبرة عن حزنها لمصير والدها وانتيجون •
وتخبرها انها سترتدى ملابس الحداد التى تليق وتلحقهما ممتطية
جوادا •

وقبل ان يمضى أوديب ، وينصرف • يعلن تريزياس ما أوحى
اليه من قبل الالهة ، من انهم سيمنحون أعظم بركاتهم للأرض التى
سيفن فيها جثمان أوديب •

فيعود كريون ليطلب من أوديب ان يبقى فى طيبة ، ولكن
أوديب يعبر عن رغبته الحقيقية فى ترك طيبة ، وقطع كل ما بينه
وبين الماضى من صلات ويقول أنه ليس ملكا • • ولاشئ الا ابن سبيل
فاقدا هويته وشخصيته •

ولكن الجوقة - شعب طيبة - تغير من موقفها السابق
من أوديب •

فبعد أن كانت تطلب منه ان يرحل عن المدينة بسرعة •
هاهى الآن ترجوه ان يبقى فى طيبة • ومن أجل ذلك وهى تذكره
بما قدم لطيبة ، من قبل ، فهي الأحق به من غيرها •

الا ان أوديب لا يهتم بذلك • • يودعهم • • وينصرف مع
انتيجون التى أسلم قياده اليها وحدها •

وتنتهى المسرحية

تحليل المسرحية :

لا شك في أن المؤلف ٠٠ اندريه جيد قد اطلع وألم بمسرحية سوفوكليس « أوديب ملكا » (قبل كتابته لمسرحيته) ، الى جانب المامه بمسرحية «أوديب في كولونا» فنحن نلاحظ - من حيث الشكل - استفادة جيد من هذين العملين ، بل والعمل على استخلاص عمله من مزجها سويا والخروج منهما بعمله - الذى طلع علينا أول ما ما طلع - مترجما للعربية بقلم الدكتور عميد الادب العربى طه حسين .

فقد جعل جيد من المسرحية الثانية امتدادا طبيعيا للأولى . فبعد أن كادت أو أوشكت المسرحية ان تنتهى نجده بجملته ترزياس القصيرة التى ذكر فيها ما أوحى اليه الآلهة من ان ما سيستقر فيها جسد أوديب من أرض ستنعم بالخير ٠٠ هذه الجملة التى قلبت أمورا كثيرة ، رأسا على عقب ، حيث تناقض الجوقة موقفها الأولى الذى أصرت عليه وهو انفاذ أمر الآلهة الذى يتمثل فى ترك أوديب للمدينة ونفيه منها .

وذلك عندما تطلب الجوقة من أوديب وتترجاه ان يبقى فى طيبة مدينته بين أهله وتعدد له مناقبه فى محاولة لاستمالته .

هنا الموقف الذى أشير اليه ، موقف الجوقة التى تمثل شعب طيبة هو موقفه الذى يوضح تماما مدى التلون والرياء والرغبة فى المصلحة الشخصية فحسب بغض النظر عن مصالح الآخرين .

وعموما نجح جيد فى تجربته المزجية والاستخلاصية •

وان كان لم يحالفه النجاح فى ما ذكر من دوافع أدت بجوكاست الى قتل نفسها فهى دوافع فاترة وليست فى حرارة دوافع جوكاست- سوفوكليس •

فرغم علم جوكاست بالحقيقة ، حقيقة كونها زوجة وأم أوديب فى ذات الوقت الا انها تدعوه الى ترك الأمر وتناسيه وعدم شغل نفسه به • بل وتحاول اللقاء تبعات كل ذلك فوق اكتاف الاله • وقد كان جهدها كله موجها تجاه حماية القناع من التمزيق أو الاحتراق • فلما حدث ما لم يكن فى حسابها •• ولما لم تستطع الصمود عارية أمام الجميع انسحبت من بينهم لتلقى حتفها • فكان ذلك فاترا وغير مقنع •

وان كان أبنة أوديب لم يلعبوا دورا هاما فى مسرحية سوفوكليس ، فنجد أن اندريه جيد قد اهتم بهم ايما اهتمام وأفسح أمامهم المجال فى كثير من المواقف ليمرر من خلالها • ما تأثر هو به من علوم حديثة كعلم الوراثة • فقد أظهر أتيوكل وبولينيس فى ثوب عصري تماما •• صورهما متأثرين بآبيهما تأثرا كبيرا ووارثين عنه صفات وأفعال كثيرة • بل انهما تجاوزاه بمراحل • فان كان أوديب قد ظهر فى المسرحية ملحدا ، لا يعترف باله ولا يدين بفضل الا لنفسه •• فهم قد ورثوا عنه هذه الصفة • وان كان أوديب طموحا ومفكرا وغير مقيد بأغلال التقاليد الموروثة البالية فى نظره ، فان كلا ولديه قد ورثا عنه ذلك • فهما ناثران على معلمهما الكاهن ترزياس وغير معترفان بفضل عليهما ، بل انهما لا يستمعان اليه وكثيرا ما نقل كريون شكوى ترزياس الى أبيهم •

ثم انهما تجاوزا اباهما ليصرحا علنا بأشتهائهما لاختيهما :

انتيجون وأسمين • وانتيجون هي الوحيدة التي أظهرها جيد وهي تلعب دورا إيجابيا في المسرحية فهي ترفض مجرد تلميحات أخيها • ثم هي التي تصر على ان تقود أوديب الى منقاه وتصعبه • وهي قبل ذلك التي أفصحت لأمها عن رغبتها في الاخلاص للاله •

ورسم اندريه جيد صورة انتيجون ، بالذات ، بهذه الطريقة يتفق الى حد كبير مع صور تلك الشخصية في مسرحيات اسخيلوس وسوفوكليس القديمة •

★★★

أبقى اندريه جيد على وجود الوحش أو أبي الهول في مسرحيته فهو الذي جعل أوديب يعتلي عرش طيبة ويتزوج من جوكاست ملكتها الاليم • كما التزم جيد بالنبوءة أو الوحي ، فلايوس قد أطلعه الوحي على ما قدر عليه • • أطلعه على انه قد قدر عليه ان ينجب طفلا يقتله ويتزوج من أمه ويجلب الشقاء على طيبة • ولم يكذ يولد الغلام حتى دفعه الملك الأب الى راع كلف بالقضاء عليه • ولكن ينجو أوديب من مصيره الذي أراده له لايوس •

★★★

الا ان تشكك أوديب في أهله عندما كان يقيم في قصر بوليب وميروب معتقدا انه ابن لهما ، جاء هذا التشكك في مسرحية اندريه جيد مخالفا للاسطورة ولمسرحية سوفوكليس •

فبدلا من ان يعيره أحد أصدقائه السكارى بنسبه مما يجعله يتوجه الى المعبد لاستشارة وحي الاله حول أصله مما يدفعه ، بعد ذلك ، الى ترك المدينة خوفا من تحقق النبوءة – في بوليب وميروب • فقد جاء هذا في مسرحية اندريه جيد بصورة مغايرة بعض الشيء • حيث تشكك أوديب في أصله ، وعلم بما كتب وقدر عليه ، في ذات

يوم - عن طريق كاهن كان يتحدث الى الناس عن مستقبلهم ، فلما تحدث لأوديب أنباء بأنه قد قدر عليه ان يقتل أباه ، ولم يذكر شيئا عن أمه ، فأسرع أوديب الى بوليب وهو من كان يعتقد بأنه أباه ، ليتحقق من الأمر . فطمأنه بوليب بأن لاخوف من تحقق هذه الكهانة فيه لأنه ليس أباه الحقيقي ، فأوديب لم ينحدر من صلب بوليب ، وإنما هو ابنه بالتبني ، ويروى له بوليب تأكيداً لذلك انه قد تلقاه من أحد رعاته الذى وجده معلقا من قدميه فى شجرة على قمة جبل .

وقد أثر ذلك التحوير فى هيكل المسرحية عند اندريه جيد . فقد تحرك أوديب ، منذ البداية ، وهو يعلم أنه ليس ابنا لبوليب وميروب ، ولم يفعل جيد كما فعل سوفوكليس بأوديب أو كما فعلت به الاسطورة ، أقصد أنه لم يجعله يترك كورنثه هربا من تحقق النبوة فى أبويه أو من كان يظن أو يعتقد أنهما أبواه . فلم يخرج هائما على وجهه . يسير بلا هدف سوى البحث عن حقيقته ، بل جعله اندريه جيد فى مسرحيته يخرج حرا . عارفا الى حد كبير لما هو مقدم عليه . وأهم من ذلك كله أن سبب خروجه الحقيقى من قصر بوليب ومن المدينة بأكملها كان تجسيدا لرغبته فى عدم الحصول على مالا يستحق ، فقد كان يعلم أنه سيرث عرشا لا يستحقه ، عرش كورنثه ، بعد وفاة بوليب الذى لم يكن يوما أباه . ومن هنا غادر أوديب القصر والمدينة .

ولم يرسل أندريه جيد الرسول الكورنثى الى أوديب وهو ملكا على طيبة ليخبره ب وفاة بوليب ، وينقل اليه رغبة الكورنثيين فى ان يصبح ملكا عليهم بعد وفاة ملكهم ، ذلك الموقف الذى حرص عليه سوفوكليس حرصا عظيما وبنى عليه استكشاف أو انكشاف الحقيقة لأوديب . لأول مرة . حقيقة أنه ليس ابنا لبوليب وإنما تلقاه من يد هذا الرسول ذاته المائل بين يدي أوديب فى تلك

اللحظة .. ذلك الانكشاف الذى مهد للانقلاب Reversal فى المسرحية
وغير من مسار الاحداث فيها فعجل بها نحو النهاية :

أقول أن اندريه جيد - أساسا - قد اسقط هذا الموقف من
المسرحية حيث جعل أوديب ، عنده ما يستكشف حقيقة كونه قد
قتل أباه وتزوج من أمه بطريقة مغايرة تماما لتلك التى استخدمها
سوفوكليس . كما أن أوديب عند اندريه جيد ، وكما سبق أن
قلت ، قد خرج من كورنته وهو يعلم تماما أنه ليس ابنا لبوليبي .
فما الداعى إذن لاحضار رسول يخبر أوديب بشيء هو على علم
به منذ البداية ؟

كانت هذه احدى النقاط التى اختلف فيها جيد عن
سوفوكليس وعن إطار الاسطورة العام .

وأختم حديثى عن مسرحية اندريه جيد بهذا الرأى فيها
« كتب اندريه جيد دراما من ثلاثة فصول سماها (أوديب)
أبرز من خلالها ، بلهجة ساخرة ، كل ما فى الاسطورة القديمة من
لبس وابهام ، كل ما فيها من تعقيد ، بالرغم من بساطتها الظاهرة ،
فأوديب ، كما صوره جيد ، انسان بصير بالامور ، عرف كيف
يحل لغز أبى الهول ، لكنه فى الوقت نفسه انسان أعمى ، يقول
عن نفسه أنه « ابن القدر » عندما يجعل القدر منه ملكا ، وأن كان
قد حاول أن يهرب منه فى البداية ، عندما قيل له أنه سيقتل أباه
ويتزوج أمه ، ويتساءل : هل هذا ممكن ؟ نعم اذا كان
المعنى بالامر متحالفا مع القدر نفسه . يدل كل شيء بالفعل
على أن أوديب لا ينكر وجود الاله ، لكنه يتصرف كما لو كان غير
موجود ، اذا كان أوديب مجرد لعبة فى يد الأقدار ، واذا كانت فكرة
الآلهة من شأنها ان تحطم الانسانية فمن واجب الانسان أن يتجاهل
القدر والآلهة . استوحى جيد مأساة سوفوكليس ، لكنه فى الوقت

نفسه ابداع عملا فنيا مبتكرا ، لانه قلب مادة الاسطورة رأسا على عقب
خلص وجه أوديب مما تراكم عليه على مر السنين وأضفى عليه قلقة
هو الداخلى ، وأكسبه تعبيرات لم يعرفها من قبل .

كما أثار جيد قضية الحرية ، ووقف منها موقف النفى المطلق
طوال الوقت الانسان مسير ، ومن ثم ، يوضع سلفا فى وضع يحول
دون تصرفه بحرية ، كيف يسأل اذن عن أفعاله ؟ . . . يصنيح أوديب
قائلا : لم يكن فى وسعى الا أن أفعل ما فعلته . . .

لذا يثور على كبير الكهنة عندما يدعوه للتوبة ويتهنم الآلهة
بخداعه ، ومن ثم كان تطلعه الى التحرر من سيطرتهم ، خاصة أن
كل الدلائل تشير الى انهم ميالون الى الزج بالجنس البشرى فى طريق
الشر . نقول أخيرا : أن دراما جيد قد تتلخص فى العبارة الاتية :
انها مناقشة أخلاقية واسعة تعكس فكر المؤلف نفسه . (١)

(١) د. سامية أحمد أسعد - مقدمة مسرحية الآلة الجهنمية لجان كوكتر -

ت : فتحى العشرى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ .

الباب الثالث

الآلة الجهنمية La Machine Infernale ١٩٣٤

لجان كوكتو Jean Cocteau

الباب الثالث

مسرحية « الآلة الجهنمية » لجان كوكتو

مقدمة عن المؤلف : جان كوكتو Jean Cocteau

جان كوكتو ٠٠ رجل مسرح ، ومخرج سينمائي ، وفنان
تشكيلي ، وإن كان ما يهمنا هنا هو جان كوكتو رجل المسرح الذي
ولد عام ١٨٩١ .

وبدأت رحلة جان كوكتو مع المسرح عام ١٩٢٠ حيث قدم
باكورة أعماله ، وهي كوميديا بعنوان « جاموس على السطح » ثم قدم
بعدها مسرحيات :

عرسان برج ايفل - روميو وجولييت - ثم أنتيجون - اورفيه
- الصوت البشري - ثم جاءت الآلة الجهنمية - بعدهم جميعا في
ابريل من عام ١٩٣٤ ، فكانت أكثرهم طولا حيث كانت مسرحية من
أربعة فصول ، بينما كانت معظم مسرحياته الفائتة من ذوات الفصل
الواحد أو ال One Act Play

وبعد « الآلة الجهنمية » قدم كوكتو عام ١٩٣٧ مسرحية من
ثلاثة فصول هي : « فرسان المائة المستديرة » ثم تبعها بمسرحية

من نفس الطول في العام التالي مباشرة ظهرت بعنوان « الآباء المزعجون » .

وفي عام ١٩٤٠ قدمت له مسرحية من ثلاثة فصول أيضا هي
مسرحية :

« الوحوش الآدمية » .

وفي عام ١٩٤١ تقدم بمسرحيته « الآلة الكاتبة » وفي العام التالي تقدم بمسرحية « رينو و امرئيد » ومسرحية « النسر ذو الرأسين » التي نالت شهرة واسعة . ثم تمضى السنون ويقدم كوكتو مسرحيته الأخيرة « باخوس » في عام ١٩٥١ لينهى بها رحلته مع المسرح التي انتهت قبل وفاته بست عشرة سنة . حيث توفي في يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٧ .

ويعتبر جان كوكتو من رواد الاسلوب التعبيري ، أو قل الاسلوب السريالي ، ويرى فيه النقاد ، من أمثال اريك بنتلي ، كاتباً منعشاً تتبدى في مؤلفاته آمال المسرح المعاصر ، ومهما يكن فإن أعماله لا تتسم بالتقاليد ، أو الجمود ، إذ يزدري معظمها بالمنطق والواقعية وينغمس في عوالم من الغرابة واللاشعور والانفعالية .

وربما كان أفضل مسرحياته في هذا المضمار مسرحية « الآلة الجهنمية » التي تعتمد على أسطورة أوديب ، وإن كانت تنظر إلى البطل المأسوي باعتباره ضحية لآلة التعذيب الجهنمية التي يبتكرها آلهة مجردون من الانسانية » (١) .

فماذا فعل جان كوكتو في « الآلة الجهنمية » ؟

(١) فرانك م. هوايتنج . المدخل إلى الفنون المسرحية . دار المعرفة القاهرة (١٩٧٠) .

لقد اسبغتي كوكتو من ينبوعى الدراما الرئيسيين . .
الاسطورة والشعر تماما كما فعل سوفوكليس من قبل . فهما
يشتركان في كون كل منهما قد عالج الاسطورة بالشعر أو عالجها
شعرا . ولكن الاختلاف في رؤية كل منهما للأسطورة واختياره
لأجزائها المناسبة لمسرحيته وتركه للباقي وأيضا اختلافها في ان
سوفوكليس قد استخدم الشعر اليوناني القديم ولاسيما الوزن
الايامبي وهو ذلك الوزن الذى يناسب أكثر من غيره طبيعة الحوار
التي تقوم عليه الدراما . وفي هذا يقول أرسطو في كتابه فن
الشعر : « فان العروض الايامبي هو أليق الأعاريض بالحوار ،
ودليل ذلك أنه كثيرا ما يتفق لنا في أحاديثنا كلام موزون على
العروض الايامبي » (١) .

لكن جان كوكتو قد استخدم بحورا أخرى في الشعر الفرنسى
ملأمة أيضا مسرحيته وان كانت قد اختلفت مع بحور سوفوكليس
اليونانية .

وأما عن الأسطورة ، فقد بدأ سوفوكليس مسرحيته بداية
متأخرة بعض الشيء ، أو بداية تقع في نهاية الأسطورة . فقد بدأها
بعد ان علم أوديب بالنبوءة وخرج من كورنثة الى طيبة حيث قتل
لايوس دون علم وتصدى لأبى الهول وحل لغزه . وتوج ملكا على
المدينة وتزوج من جوكاست وأنجبا أولادا . تبدأ مسرحية
سوفوكليس من موقف يستشرى فيه الطاعون في المدينة ويأتى
الشعب الى أوديب طالبا منه ان ينقذ المدينة . حيث تكلمه أغصان
الغار والزيتون . ثم يرسل أوديب كريون ليستشير الآلهة ويأتى
كريون بلغز جديد - يجب أن يحله أوديب أصعب من لغز أبى

(١) أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى . الهيئة المصرية
العامة للكتاب . القاهرة .

الهول وهو اكتشاف سبب الرجس والطاعون • من هنا بدأ سوفوكليس بداية مناسبة حققت له تركيزاً في المأساة وصيغتها بلون مأسوي • وجعلتها تلتزم بوحدة الزمان والمكان اللتين أدتنا إلى وحدة الحدث •

أما كوكتو فقد بدأ مسرحيته من نقطة قبل النقطة التي بدأ منها سوفوكليس بكثير • بدأ قبل حل اللغز وانقاذ المدينة • قبل الزواج والانجاب • ومن هنا لم تلتزم مسرحية كوكتو لا بوحدة الزمان ولا بوحدة المكان ولا الحدث نتيجة لهذه المساحة الزمنية العريضة التي امتدت عليها أحداث المسرحية • فنحن نجد سبعة عشر عاماً تمر في استراحة الفصل الثالث وحدها • ونرى أماكن المسرحية تتغير وتتباعد عن بعضها •

وبعد الحديث عن البداية أتحدث عن البناء الدرامي : Dramatic Structure

ابتنى كوكتو مسرحيته من أربعة طوابق أو أربعة فصول • وإن كان الفصل الأول لا يؤدي نهايته إلى الفصل الثاني بل إنه جعل الفصلين الأول والثاني يسيران جنباً إلى جنب في الوقت الذي يجري فيه الحدث في الفصل الأول حيث نرى جنود الدورية والشبح ثم قدوم جوكاست بعد علمها بهذا الشبح بصحبة العراف تزيباس • في الوقت نفسه يكون أوديب على وشك أن يلتقي بأبي الهول خارج المدينة • فحقق لنا كوكتو بذلك ازدواجية في الحدث أو حدثين في وقت واحد •

ثم يأتي الفصل الثالث فيقع - من الناحية الزمنية - بعد كل من الفصلين الأول والثاني وقبل الفصل الرابع بسبع عشرة سنة • ويبدأ كوكتو فصول مسرحيته بصوت • استطاع أن يلخص فيه عدد الجوقة أو ال Chorus اليوناني والذي بلغت عنده

سوفوكليس خمسة عشر شخصا . وان كان قد أعطى هذا الصوت أكثر مما أعطى سوفوكليس الكورس عنده من وظيفة . او أقصد ان هذا الكورس يختلف عن كورس سوفوكليس فهو عند سوفوكليس ، يغنى أحيانا ويرقص ثم يعلق على الحدث ويحكم عليه أو يناقش أو هو يخبر أو يتنبأ بقدوم شخص ملثم ، أنبأنا بقدوم كريون من المعبد .

أما الصوت عند كوكتو فهو يقص على متفرج القرن العشرين كل الأحداث التي سبقت المسرحية والتي جاءت بالأسطورة ، والتي قد لا يعرفها كل المعرفة ذلك المتفرج ، ولكنه يتوجه للمتفرج مباشرة قائلا له : شاهد أيها المتفرج ، آلة من أدق الآلات تصميمًا ، ضبطت بحيث تدور حركتها متصلة بطيئة طوال حياة إنسانية معينة ، وقد صنعتها الآلة الجهنمية لتتحطم بها ، بطريقة رياضية بحتة ، واحداً من بنى البشر ، (١) . هذا الحوار الذى يخاطب الجمهور مباشرة ، يخاطب عقله وليس عاطفته ووجدانه ، هذا الحوار يكسر الإيهام الدرامى Dramatic Illusion وكأنه يقول للمتفرج ، ان ما تراه هو تمثيل فى تمثيل ، كما انه يعطل الحدث بعض الوقت ويوجه تفكير المتفرج منذ البداية الى خط فكرى معين رسمه المؤلف من قبل وهاهو يشير اليه .

ومن خلال حوار الفصل الأول ذلك الحوار الذى يدور بين الجندى الصغير وزميله فى الدورية يصور لنا كوكتو تلك الحياة التى تملكها الجمود الرهيب والضيق من هذا الحيوان الذى سيطر على المدينة . مجسداً بذلك أهمية هذا الحيوان ومكانة من سيتخلص منه كما يصور من خلال الحوار فى هذا الفصل طبيعة جو كاست وترزياس أو هو يرسم الخطوط الأساسية لهما كشخصين من

(١) جان كوكتو . مسرحية الآلة الجهنمية - ترجمة فتحى العشرى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ .

شخصيات المسرحية الرئيسية ، فجوكاست تتكلم بلغه الملوك .
وهى حزينه على عدم امكانها رؤيه شبح لايوس زوجها . ولكنها
تبدو أولا وقبل كل ذلك امرأة فهى تعجب بالجندى الصغير وتقول
لترزياس « رأيت كم هو جميل » (١) ؟ ثم هى ترى متعة لا عيبا فى
ان يعاشر الابن أمه حيث تقول : « ليس فى هذا شئ من الحماسة
يا ترزياس . فهل هناك أسرة أكثر انسجاما ، أسرة أشد عطفًا وقسوة
معا ، أسرة أكثر اعتزازا بنفسها من هذا الثنائى المكون من ابن
وأُم وشابه ؟ » (٢) لقد رسم كوكتو من خلال هذا الفصل الأول
صورة جوكاست - المرأة رسما واضحا . وسرى فى الفصول
التالية اذا ما كان اعطاها ملامح أكثر أم اكتفى بما رسمه فى
الفصل الأول .

أما ترزياس فقد رسمه كوكتو مغايرا تماما لترزياس
سوفوكليس . . فهو لا يرتفع أو يبلغ سمو مكانة مثيله عند
سوفوكليس . . انه يبدو ضعيفا ونلمس ذلك عندما تخاطبه
جوكاست قائلة : « كم انك مزعج ومفزع ، دائما تعطل الانطلاق .
وتمنع دائما وقوع المعجزات » (٣) . وهى تحتقره أو تقلل من شأنه
قائلة . . « ان الملك لايوس تكلم أمام هؤلاء الناس . . تقصد الجنود
. . لم يتكلم اليك انت ولا الى كريون » (٤) .

وننتقل الى **الفصل الثانى** الذى تجرى أحداثه فى نفس زمن
الفصل الأول والذى يعطيه كوكتو عنوان « لقاء أوديب وأبى الهول »
وهو من ناحية البناء غير مرتبط بالفصل الأول بأى نوع من الارتباط
- يبداه كوكتو بالصوت الذى يتوجه للمتفرج قائلا : « أيها المتفرج
ستتخيل رجة فى الزمن وتعيش فى مكان آخر نفس اللحظات التى
عشتها الآن معنا » (٥) .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) جان كوكتو ، الآلة الجهنمية . ترجمة فتحى
المشرى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ - ط (١)

ويبدأ الحوار في الفصل الثاني بين أبي الهول وأنوبيس .
ومنه يدرك ان أبا الهول قد ضاق ذرعا بتلك الحياة المليئة بالقتل .
وقد ذكر كوكتو ذلك على لسان أبي الهول ليمهد بذلك للموقف
الذي بين أوديب وأبي الهول والذي يسلم فيه أبا الهول مفتاح
اللفز راضيا الى أوديب ليحله وينتصر عليه ويخلصه من تلك
الحياة ، التي سأمها . ويقلل كوكتو بذلك من بطولة أوديب في حل
اللفز فهو لم يحل هذا اللفز بطويل تفكر أو عميق تأمل وإنما حله
عندما ردد كلمة أبي الهول نفسه .

وقد صرر لنا أبو الهول تصويراً آدمياً أو صوره في صورة
إنسانية في صورة امرأة تحب أحيانا ويسيطر عليها هذا الحب بل
وتغير أيضا . انها في لحظة تهتم بالجنس أكثر من أى شيء آخر .
وتستخدم أساليبها لايقاع من تحب في شباكها . فهي تقول
لأوديب محطرة من جوكاست التي من الممكن أن تصبح شريكها في
حبها أوديب . فتقول :

« امرأة كان من الممكن ان تكون أمك ! » (١)

ولكونها أحبته فهي تحاول انقاذه من ذلك المصير الذي ينتظره
عن طريق طرح سؤال أو تساؤل وهو « اليس الطريقة المضمونة
لإحياء النبوة هي الزواج من امرأة تصغرك سناً ؟ » (٢)

ولكنه لا يهتم بتساؤل أبي الهول الذي مازال متخفياً . ويرد
عليه قائلاً : « لا . كلا . سأجرب حظي » (٣) ، ان المسألة
بالنسبة لأوديب هي حظ . أو كما يقال « ضربة حظ » يستطيع من
من خلالها ان يصبح ملكاً وزوجاً لجوكاست دونما حساب لأى شيء
غير ذلك .

(١،٢،٣) نفس المرجع السابق .

ويستخدم كوكتو « المفارقة الدرامية Dramatic Irony

كثيرا . ففي هذا الفصل نجد هذا الحوار :

الابن : أماه ، قولى ، . . هذه السيدة . . هل هى أبو الهول ؟
المربية : انك فى منتهى الغباء (مخاطبة أبا الهول) سامحيه ، فى هذا السن لا يعرفون ما يقولون .

الابن : أماه . هذه السيدة هى أبو الهول (١) .
فى هذا الحوار نلمح مفارقة درامية ناتجة عن سخرية هرة .
من كوكتو بهؤلاء ، الذين يدعون أنهم كبار وانهم يعلمون كل شئ .
ولكن فى الحقيقة هم لا يعرفون شيئا على الاطلاق .

ان الطفل الذى تتهمه أمه قائلة : « انك فى منتهى الغباء » (٢)
هو فى الحقيقة أذكى من تلك الأم لأن ما يرى انه أبو الهول هو فعلا أبو الهول . ولكن هذه المربية الأكبر سنا ، والأوسع علما تبدو من خلال هذا الحوار دمية صغيرة نضحك عليها جميعا . لأننا نعلم حقيقة أبى الهول وهو أيضا يعلم حقيقة نفسه وحتى الابن الصغير استطاعت ان تدركه سليقته أو يدله احساسه على الحقيقة بينما هى تبدو أجاهلة . مفارقة لطيفة وقوية وان كانت تعبر عن رأى كوكتو فى قضيته .

والفصل الثالث ملء بالمفارقات الدرامية الأخرى سأتناولها

حين أصل إليها .

وبعد أن يكشف أبو الهول عن حقيقته لاوديب ويخاف أوديب ويرتعد نرى مونولوجا أو Monologue طويلا جاء على لسان أبى الهول موجها لأوديب عطل الحدث وأعاق الحركة على المسرح وكشف عن

(٢٠١) نفس المرجع السابق .

عجز كوكتو فى رسم شخصية أبى الهول عن طريق الحوار فجاءت هكذا بطريقة روائية سردية ضعيفة . حيث يقول أبو الهول :

« لا فائدة من اغماض العينين وإدارة الرأس ، لأننى لست بالغناء ولا بالنظر أمارس عملى ، لكننى ، أمهر من ضرير ، وأسرع من شبكة المصارعين ، وأروع من الصاعقة ، وأصلب من الحوذى، وأثقل من البقرة ، وأعقل من تلميذ يمط لسانه بالأرقام . اننى أكثر عدة وأشد مراسا وأكثر شراة ، وأكثر اهتزازا من السفينة ، وأنزه من قاض . وأكثر شرها من الحشرات (١) . » الخ ، ما جاء على صفحتى ٥٨ و ٥٩ من النص المترجم .

وينهى كوكتو الفصل الثانى بانتصار أوديب المريض وانطلاقه الى المدينة دونما شكر أو عرفان بالجمل لذلك الذى منحه هذا النصر .

ويبدأ الفصل الثالث « ليلة العرس » . . . يبدأ كوكتو بنفس الصوت الذى سبق انفراج ستار فصلى المسرحية الأولين ، والصوت فى هذا الفصل يروى أو يسرد ما وقع من أحداث دون أن يخاطب الجمهور مباشرة مثلما فعل من قبل ، يروى ما حدث منذ الفجر من حفلات تتويج وعرس . وجماهير تجيء لتتفت بحياة الملكة وقاهر أبى الهول . ثم يلتقى أوديب وجوكاست وجها لوجه فى غرفة العرس التى بها الى جوار سرير العروسين مهد طفل . يرمز به كوكتو لطفولة أوديب .

جوكاست : « انى خائفة ان تصبح تلك الغرفة قفصا لك وسجنا » (٢)

(١) ، (٢) جان كوكتو ، الآلة المهنية ، ترجمة فتحى العشرى - مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٩ ط (١) .

بهذه الجملة يبدأ الحوار في الفصل الثالث . يبدأ الحوار ليصنع مفارقة درامية ، فجوكاست عن جهل بالحقيقة تعبر عن خوفها ، ان تصبح تلك الغرفة سجنًا ، تقول ذلك لأوديب الذي يجهل الحقيقة أيضا . . حقيقة ان هذه هي الحجرة التي نام فيها أبوه (لا يوس) مع أمه (جوكاست) وانجباها وخصصا له ذلك المهد الصغير الذي يسند أوديب الآن رأسه اليه ويراه « مهد حظه » ان المفارقة هنا صنعها كل من : جهل جوكاست وأوديب بالحقيقة وعلم المتفرج بها .

يعتبر هذا الفصل أسرع ايقاعا Rethm من الفصلين الأولين . وقد اعتمد فيه كوكتو على الكلمة ولكن ليست وحدها . بل استخدمها الى جانب الحركة ولحظة الصمت . فالحوار وحده لا يستطيع ان يوصل المعنى في أحيان كثيرة بغير حركة الممثل التي تكمل المعنى أو لحظة الصمت .

كما استخدم كوكتو « وسيلة » لا تكاد تخلو منها مسرحية سريالية المذهب واقصد بهذه الوسيلة . . الحلم . . ذلك الحلم السريالي الذي يستخدمه للتعبير مباشرة عن مكونات العقل الباطن وطرحها دونما سيطرة من العقل الواعي عليها ، ليعرض لنا داخل شخصياته الى جانب خارجها ، محدثا بذلك ازدواجية في الصورة . وهو يستخدم حلما لأوديب وحلما لجوكاست ليتعرف كل منهما على داخل الآخر ، ولنكتشف نحن داخلهما معا . فأوديب يحلم انه أمام أنوبيس . . اله الموت . . الذي يذكره بزيغ نصره أو انتصاره وفضل أبي الهول عليه . وجوكاست تحلم وهي واقفة بذلك الكابوس الذي تخافه وتخشاه فتصرخ وتخاف ان يسمعها أوديب بينما هو أيضا خائف أن تكون قد علمت بما دار في الحلم .

وينهى كوكتو ذلك بدعوة جوكاست لأوديب أن يستعد لاستقبال ترزياس كشكل ملازم لعملية اتمام الزواج . ويرفض أوديب ولكنه يعود فيقبل بعد قبلة من جوكاست .

ويدخل ترزياس على أوديب ويتبادلا حوارا يتسم بالسرعة والتوتر Tension والغرابة ، فنحن نقرأ هذا الحوار بين ترزياس وأوديب :

ترزياس : ان دلائل المستقبل شؤم عليك ، غاية فى الشؤم . ومن واجبى ، أن أحذرك .

أوديب : وحق الآلهة . كنت أنتظر ذلك . والعكس كان سيدهشنى . ليست هذه أول مرة تتحایل فيها النبوءات على . . وليست هذه أول مرة تحبطها شجاعتى .

ترزياس : هل تعتقد بالقدرة على احباطها ؟

أوديب : هانذا الدليل وحتى اذا أزعج زواجى الآلهة .

ترزياس : كان من الممكن ان تكون جوكاست أمك .

أوديب : كنت أحلم دائما بحب من هذا النوع . . بحب يكاد يكون أمويا (حب الأم) .

ومن هذا الجور نستطيع ان نلمس ذلك الجو النفسى لتلك المقابلة بين أوديب وترزياس . . ان ترزياس يعتبر أوديب غير أهل بالملك والملكة فهو فى نظره أمير من الشارع . وما ان يعلم أوديب بذلك حتى يطمئنه انه ابن بوليبي وميروب ملكا كورنثه وانه هارب من نبوءة .

وقبل ان يعلم ترزياس بذلك نجده يطلع أوديب على دلائل المستقبل . . تلك التى يصفها بانها غاية فى الشؤم . وكان ينتظر

ان يخاف أوديب ويرتعد من ذلك . لكن فاجأه رد أوديب حين يقول : « كنت انتظر ذلك . والعكس كان سيدهشنى (١) ، ولعل كوكتو يكمل بهذا الحوار رسم بقية ملامح أوديب التى بدأ فى رسمها فى الفصل الثانى . انه .. أقصد أوديب ، متطاولا . غير مهتم بما تحمله دلائل المستقبل . لايهمه ان يزعج زواجه الآلهة .. انه يتحداهم . ولا تثير فى ذهنه هذه الجملة أدنى شك فى هذا الزواج عندما يقول له ترزيباس : « كان من الممكن ان تكون جوكاست أمك » (٢) . ولكن لا شك قط يثار بداخل أوديب ان رده غريب .. غريب .. حين يقول : « كنت أحلم دائما بحب من هذا النوع » (٣) . معنى ذلك ان أوديب كان يحلم بحب أمه . ومن هنا فليس من المعقول ان يفكر قط فى مدى شرعية زواجه منها وهل جوكاست أمه . أم غير ذلك .

وكان كوكتو قد أثار فى نفس جوكاست احساسا ما تجاه أوديب فهى تقول :

جوكاست : كنت مضطربة .. لأنه كان يشبهك (تقصد جندى الدورية الصغير) ، وصحيح هو يشبهك يا أوديب ..

أوديب : تقولين .. هذا الحارس كان يشبهك « لكن يا جوكاست لم تكونى تعرفيننى بعد .. كان مستحيلا ان تعرفنى ، ان تخمنى .

جوكاست : حقا يا عزيزى .. قصدت بلا شك ان أقول ان ابنى كان سيكون فى مثل شكلك (فترة صمت) نعم .. انى مرتبكة .. الآن فقط وضح هذا التشابه فى نظرى .. (تقض هذا الاضطراب) انت طيب يا أوديب انت جميل .. احبك (٤) .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) نفس المرجع السابق

ويبدو أن جوكاست قد أدركت فعلا كون أوديب ابنها بدليل ذلك الاضطراب الذى سيطر عليها ، والذى أخرجت نفسها منه عندما غيرت مجرى الحديث قائلة :

« انت طيب يا أوديب ، انت جميل ، أحبك » . انها عرفت حقيقة أوديب ولكنها لاتستطيع ان تضحى به فى سبيل اعلان هذه الحقيقة . « انه جميل » ، وهى « تحبه » فكيف تضحى بهذا الجمال وهذا الحب فى سبيل اعلان الحقيقة . انها امرأة مليئة بالحيوية والحب والجنس . بلا زوج . . وأمامها كل ذلك . فهل تضيعه ؟ وكوكتو يصور أوديب وكأنه لا يعانى من الداخل لا يخاف من النبوءة التى كتبت عليه ان يتزوج أمه . أنه لا يخالجه أدنى شك . ويترك الأمور تجرى بتلقائية وطبيعية تامة بدون أى تدخل منه لمنع وقوع الكوارث .

ويختتم كوكتو هذا الفصل بصوت سكير تصيب الحجارة التى يلقيها من فمه ، تصيب الملكة وتجرح شعورها وتذكرها انها أكبر ممن ستتزوج .

وتمضى على هذه اللحظة سبعة عشر عاما يجعلها كوكتو تمر بين نهاية هذا الفصل وبداية الفصل الأخير الذى أعطاه هذا العنوان « أوديب ملكا » والذى تكمن فيه بحق مأساة أوديب وقبل ان ينفرج الستار عن أحداث هذا الفصل الأخير نستمع الى الصـوت الذى يصدره كوكتو فى بداية كل فصل ، وان كان صوت الفصل الأخير هو نفسه جوقة سوفوكليس Cohrous لأنه ينطق بنفس ماسبق . ونطقت به جوقة سوفوكليس . انه يعلن ان الطاعون بدا يجثم على طيبة كما لو كان أول عشرة فى حظ أوديب الشهير .

وينفـرج آخر ستار فى المسرحية عن أوديب بين ترزياس وكريون . وقد ظهرت على أوديب آثار التقدم فى السن يقف الثلاثة

في مواجهة رسول كورنثه الذى يطلب منه أوديب ان يقص عليه كيف مات بوليب وما هى الحالة التى عليها ميروب . وعندما يضع أوديب يده فوق فمه ، وينادى جوكاست لينقل اليها احساسه بالفرح بعد سماعه خبر وفاة بوليب وبطلان النبوة . عندما يفعل ذلك يستأذنه الرسول فى الحديث فيسمح له أوديب . فنهى الرسول يقول (١) :

الرسول : « كان على أن ابدأ بالنهاية ، فقد كلفنى ملك كورنثه ، وهو على فراش الموت بأن أخبرك انك لم تكن غير ابنه بالتبنى » .

فيصق أوديب : ويقول له : ماذا ؟ فيكمل الرسول

الرسول : اقد عثر عليك أبى ، وهو راع من رعاة بوليب ، من زمن ، فوق تل ، واثت عرضة للحيوانات المفترسة ، كان فقيرا ، فحملك الى الملكة التى كانت تبكى لأنها لم ترزق بطفل ، هذا ما دعانى الى القيام بهذه المهمة الغير عادية لدى قصر طيبة » .

ومن هذا الموقف يبدأ ال Tension أو التوتر الدرامى والحدث المتصاعد للذروة . فاوديب اكتشف انه ليس ابن بوليب ، وهو يجهل حقيقة نسيه ، لكنه بدأ يشك انه هو الطفل الذى أرسلته غسالة القصر الى الجبل وعلقتة من قدميه المثقوبتين فى جذع شجرة كما أخبرته بذلك جوكاست ذات يوم منذ سبع عشرة سنة . بعد ذلك يبدأ أوديب فى استرجاع الماضى أو يقوم بعملية Flash Back فيتذكر انه قد قتل رجلا . لعله هو لايوس وعندما تقاطعه جوكاست مستفسرة : ماذا ؟ يبدأ أوديب فى استرجاع

(١) نفس المرجع السابق .

ما حدث بالكامل يوم أن جاء من كورنث هربا من أبويه وما صادفه عند مفترق طريقي دلفي ودوليس حيث كانت حادثة قتل ذلك الشيخ العجوز نتيجة لضربة خاطئة أو طائشة أصابته من أوديب وتستطيع جوكاست ان تكتشف من رواية أوديب الحقيقة المرة .. حقيقة قتله لأبيه كما تتأكد من ان أوديب هو ولدها وزوجها في نفس الوقت وان أولادها هم اخوته في ذات الوقت ويعقب هذا الاكتشاف تحول Reversal في شخصية جوكاست يؤدي الى تحول في الحدث نفسه أو ال Plot فتتحول جوكاست من السعادة الى الشقاء مما يجعلها تخنق نفسها بذلك الوشاح الاحمر الذي أشار اليه كوكتو أكثر من مرة .. ويتبع ذلك اكتشاف أوديب نفسه للحقيقة وتحول Reversal في شخصيته من السعادة الى الشقاء فيفقا عينيه بمشيك الزوجة الذهبى .. وعن طريق ذلك تقترب المسرحية من نهايتها المأسوية محدثة بذلك التطهير في نفس المتفرج أو ال Catharsis ذلك التطهير الناتج من اثاره كوكتو عاطفتي الشفقة والخوف لدى المتفرج . الشفقة على كل من جوكاست وأوديب والخوف من مقابلة ذلك المصير الذي قابلاه .

ونلاحظ هنا ان كوكتو جعل جوكاست هي التي تقوم بعملية الاكتشاف وليس أوديب كما فعل سوفوكليس . ثم انه أعطى لكل من جوكاست وأوديب نفس القدر من الاهتمام في نهاية المسرحية فجعلهما معا بطلا المسرحية .

وتنتهى المسرحية بخروج أوديب قائلا : « اطرودنى ، أجهزوا على ، ارجمونى » .

يخرج في صحبة انتيجون الابنة الوفية التي تسلمه عصا ترزياس فيقبلها راضيا مذكرا ترزياس بتنبيهه منذ ثمانية عشر عاما عندما قال له : انك ستصبح أعمى .

ومع ان أوديب قد أصيب بالعمى الا أنه يرى شبح أمه
جوكاست وليست زوجته ، تلك الأم التي تهديه ولا تستطيع ان
تتركه . انها تساعده الآن . وتنتهى المسرحية .
هكذا ينهى كوكتو « الآلة الجهنمية » نهاية بعد نهاية
سوفوكليس فى « أوديب » .

الجزء الثاني

أسطورة أوديب في المسرح المصري المعاصر

● الباب الأول :

.. الملك أوديب : ١٩٤٩

لتوفيق الحكيم

● الباب الثاني :

.. مأساة أوديب : ١٩٤٩ أيضا

لعل احمد باكثير

● الباب الثالث :

.. كوميديا أوديب او انت اللي قتلت الوحش

١٩٧٠ لعل سالم

● الخاتمة :

الباب الأول

الملك أوديب ١٩٤٩
لتوفيق الحكيم

الباب الأول

الملك أوديب ١٩٤٩ لتوفيق الحكيم

مقدمة :

يعتبر توفيق الحكيم أول من عالج أسطورة أوديب في مسرحنا المصرى . وذلك في مسرحية : « الملك أوديب » التي نشرت عام ١٩٤٩ ، فكانت بذلك المعالجة المصرية الأولى للأسطورة اليونانية القديمة .

وبعد مسرحية «أوديب الملك» لتوفيق الحكيم ظهرت مسرحية على أحمد باكثير في نفس العام تعالج نفس الأسطورة من وجهة نظر أخرى .

وفي عام ١٩٧٠ ظهرت المحاولة الثالثة المستوحاة من الأسطورة « كوميديا أوديب » أو « أنت اللي قتلت الوحش » من تأليف على سالم ، لتصبح الكوميديا الأولى في مسرحنا المصرى المستوحاة من الأسطورة الاغريقية القديمة ...

أبتاه !

انك لم تكن قط بطلا ، مثلما أنت اليوم !

انتجونه

في

« الملك أوديب »
لتوفيق الحكيم

عرض ملخص للمسرحية

الفصل الأول :

يجرى المنظر في بهو بقصر « أوديب » حيث يقف مستندا على أحد الأعمدة ، مفكرا في المدينة ، ناظرا من خلال شرفة رحيبة .

وامعانا في التأكيد على شروء ذهن أوديب ، يدخل « الحكيم » جوكاست وأولادها بهو القصر حيث تتساءل « انتيجون » : « ما باله يرسل البصر هكذا للمدينة ؟ ، فتطلب منها أمها أن تذهب لتسرى عنه ، فهي وحدها التي يصغى إليها دائما ، فيؤكد الحكيم هنا . منذ البداية ، على المكانة التي تحتلها « انتيجون » لدى « أوديب » والدها . ويمهد « الحكيم » بذلك ، سبب اصطحاب أوديب لانتيجون بالذات دون غيرها في نهاية المسرحية .

ويحس « أوديب » بزواجه ، وأولاده في لحظة متأخرة من حضورهم ، حيث يلتفت اليهم فقط عندما تسأله « انتيجون » عما به ؟ وبسرعة ، ندرك أن « الحكيم » قد بدأ مسرحيته ، مثلما بدأ « سوفوكليس » . أي بعد أن ألم الوباء أو الطاعون بالمدينة .

ندرك ذلك من حوار « جوكاست » مع « أوديب » حيث تقول له أنه لا يملك لدفعه شيئا ، وأنه قد فعل كل ما استطاع ، في نظرها طبعاً ، فقد سارع في طلب « تريزياس » ليوحى إليه ويطلعه على علوم الغيب .

ولكن أزمة أوديب مرجعها أزمة طيبة التي وضعت أمرها بين يديه ومصيرها قد ارتبط بمصيره . ولكن « جوكاست » تعرف أنها ليست محنة طيبة وحدها ، فهي كأمراة تحس من خلال غريزتها أن هناك علة أخرى تؤرق أوديب ، وتسبب انقباضه الذي تطالع أثره في عينيه .

ويمهد الحكيم ، أو يقدم لاحداث في الطريق ، وهو ما نسميه بلغة الدراما « التلميح التمهيدى Foreshadowing (١) » لاحداث في الطريق حيث يجعل أوديب بين عما بداخله من أرق يشبهه بشر مستطير يتربص به . وبسرعة تحاول « جوكاست » أن تبعد عنه تلك الفكرة . فكرة الشر أو القدر .

فتعلل سبب أزمته بما لم تكن توافق عليه من قبل . حيث تعود جوكاست لتقول أن انعكاس طيف آلام الناس على نفس أوديب الصافية هو الذي جعله مكتئبا .

وتدعو جوكاست أولادها لأن يلتفوا حول أبيهم ليسروا عنه ولكن « انتيجون » تسأل أبيها أن يقص عليها قصة الوحش الذي قتله . ويظن أوديب أن جوكاست هى التى أوحى لانتيجون أن تسأله مثل هذا السؤال . فترد جوكاست بأنها صفحة من حياته ، من حق أولادها أن يلموا بها . وبناء على ذلك يروى أوديب قصته منذ البداية ، منذ أن كان فى قصر « بوليب » و « ميروب » فى « كورنث » حيث ربياه أحسن تربية ، الى أن علم - ذات مساء - من شيخ أطلق لسانه الحمر ، أنه ليس ابنا للملك والملكة ، وإنما هو لقيط . فلم يهدأ له بال ، وخرج باحثا عن الحقيقة حتى انتهى به المطاف الى حيث أسوار طيبة مكان لقاء

(١) دكتور ابراهيم حمادة . معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية . دار الشعب - القاهرة (١٩٧١) .

الوحش المهول أو الأسد المجنح بأجنحة نسر ، فتطرح عليه السؤال وأجاب أوديب ، لتقهر اجابته ذلك الوحش .

وتكمل جوكاست . . فتصف حالة طيبة السيئة في ذاك الوقت . من جراء الوحش المهلك . ثم تحكى عن زوجها « لايوس » الذى مات في ذلك الوقت تاركا اياها في عنقوان الشباب ، وفي زهرة العمر ، تعيش في برودة القصر .

وقد كان « كريون » هو الوصى على العرش . فلما لم يقو على دفع الوحش ، أعلن رغبته في منح عرش طيبة ويد ملكتها الأيم لمنقذ المدينة من الوحش .

ويذكر أوديب جوكاست بأن ما تقوله عن العرش واليد لم يكن يعلمه حين واجه اللغز في فم أبى الهول . ويضيف انه ربما كان قد اضطرب فؤاده وارتجفت يده ولم يظفر بالنصر ان هو علم وقتئذ بما أعلن عنه كريون من مقابل .

ويختلف الحكيم هنا عن « اندريه جيد » الذى جعل أوديب يطالب منذ البداية بالتاج واليد حتى يلقي الوحش . وكذلك على سالم . . .

كما يخالف الحكيم الاسطورة ومسرحية سوفوكليس حيث لم يتوجه أوديب عنده الى المعبد يستشير به بعد أن عيره الشيخ في مجلس الشراب باصـله . بل ترك القصر وخرج باحثا عن الحقيقة بدون أن يفكر في التعرف على رأى المعبد .

وأخيرا . . يسقط أوديب الحكيم حادثة مقابلة « لايوس » في الطريق الى طيبة وما نتج عنها من مقتل لايوس وذلك أثناء رواية أوديب حكايته لأولاده .

نعود لاستعراض المسرحية . حيث تلقى جوكاست أضواء على ما بعد مرحلة حل اللغز ، مرحلة استقبالها لذلك الذى فرض

عليها زوجا ، وهل ستحبه ؟ • ان جوكاست تبين لنا عن ما كان بداخلها آنذاك ، فهي لم يههما من يكون الظافر بالوحش • ولكن ما يههما هو من يكون الظافر بالقلب ؟ • قلب المرأة لا قلب الملكة ، قلب المرأة الذى لم يكن يعرف الحب رغم زواجها المبكر من لايوس الذى كان يكبرها سنا • فلم تجد السعادة معه •

يضيف الحكيم على شخصية « جوكاست » ملامح جديدة تماما • انها فى نظره الانثى التى حل لغزها بمجرد أن رأت أوديب وأحبته •

ولعل اهتمام الحكيم بذلك التفسير أو التفصيل •• تفصيل الابانة الكاملة عن مشاعر جوكاست التى كانت كامنة •• تلك الابانة أيضا يستخدمها المؤلف كتقدمة أو فرشاة لتصرفات جوكاست فيما بعد حيث يدفعها حبها الشديد لأوديب الى فتور رد فعلها تجاه الحقيقة التى ستطلع عليها فى نهاية المسرحية •

مرة أخرى ، نعود لأحداث المسرحية •• حيث نجد الحكيم يصور بطولة أوديب المبالغ فيها أمام الوحش •• تلك البطولة التى تسعد زوجته وأولاده فضلا عن إسعادها له •

ويعود الحكيم ليؤكد على مشكلة الواقع والحقيقة من خلال تصرفات أوديب نفسه الذى غمرته السعادة فى أحضان جوكاست فأنسته ما كان خرج أو بحث عنه - فالواقع أنسى أوديب الحقيقة وأقعد عنه وهذا ما جاء على لسانه :

أوديب : نعم ••• هذه السعادة التى غمرتني وأنستني ما كنت خرجت له ، وما كنت أبحث عنه ••

والواقع أنسى جوكاست الحقيقة أيضا فأعماها عما يجرى حولها •• وهى تقول :

جوكاست : حقيقتك ؟ ... فماذا يهمنى من أمر هذه الحقيقة ؟
ما دمنا سعداء قلت لك كثيرا : اياك أن تظن انى كنت أوثرك
من سلالة الملوك ... انه لفخر لى ولأطفالنا الا أن تكون من
صفوة الأبطال (١) .

وتأتى المفارقة عميقة **Dramatic Irony** فجوكاست التى تريد
السعادة كاملة نجدها تقص حكاية ستمحو سعادتها تماما . ونحن
ندرك ذلك وإن كانت هى لا تدرك ومن هنا تأتى المفارقة فهى تقول
انه كان لها من لا يوس ولد نبذه بعد أن أوحى اليه الاله من قبل
أنه سيكون شؤما عليه . فأسلمه لمن يقتله على الجبل ، وهى تظن
أن « لا يوس » بهذا لم يقم بينها وبين أوديب بذلك ما ينقص عليه
ما هو فيه معها من هناء .

وعلى ذكر كلمة « هناء » يرتعد أوديب ، ويسمع صوت أهل
طلبية آتين من كل مكان :

ولعل هذا هو المشهد الذى افتتح به « سوفوكليس »
مسرحيته « أوديب ملكا » يؤخره الحكيم ، بعد أن ألقى ضوءا على
معظم ما سبق رفع الستار عن مسرحيته من أحداث دارت على مدى
سبع عشرة سنة أو يزيد يجهلها مشاهد المسرحية ابن القرن
العشرين . ويتفق معى فى ذلك رأى الدكتور أحمد شمس الدين
الحجاجى اذ يقول (٢) :

« نقل الحكيم صورة مختصرة لما يحدثه الطاعون فى المدينة ،
من مسرحية سوفوكليس ، واستخدم فى هذا التصوير المختصر
نفس المعانى التى يصور بها سوفوكليس الطاعون ، وكما أن

(١) توفيق الحكيم . الملك أوديب . مكتبة الآداب - القاهرة .

(٢) أحمد شمس الدين الحجاجى ، الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر -
الكتاب الأول . دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٥ .

الحديث عن الطاعون يتحدث به الكاهن في مسرحية سوفوكليس
فان الكاهن نفسه في مسرحية الحكيم هو الذى يقوم بهذا التصوير
وهو الذى يطالب أوديب بأن ينقذ المدينة من الطاعون كما أنقذها
من أبى الهول ويتهم الكاهن أوديب ببخثه فيما لا ينبغى البحث
فيه . ويسأل أسئلة لا يجب عليه طرحها . وأكثر من ذلك أنه
لا يتورع عن الفحص والتنقيب فى وحي السماء .

ويرد أوديب بأن هذه هى طبيعته التى فطر عليها والتى
لا يستطيع التجرد منها . وهنا يخبره الكاهن بأنه قد التمس من
كريون أن يمضى الى المعبد ليستشير الاله . ثم يلقي الكاهن ضوءا
على شخصية كريون فهو لا يحاول فى الحقيقة ، ولا يبارى فى
الواقع . وينصرف الكاهن بعد أن يعاهده أوديب على انقضاء كل
ما فيه انقاذ للمدينة .

تعبير جوكاست عن خوفها . . فيطمئنها أوديب بأن لا شئ
جدير بالخوف منه الا خطرا يدنو منها أو من أولاده . . أما كل
ما يتفوه به الكهان فهو هراء . ولكن جوكاست تحذره من الخوض
فى حديثه عن الكهان والآلهة .

ويعلو الضجيج . ويحضر ترزياس بناء على طلب أوديب .
فتنصرف جوكاست وأولادها . وعندما يطمئن ترزياس أنه وحده
مع أوديب يطلق لسانه . . فيخبر أوديب بأن الخطر قائم من حوله
لا بسبب الطاعون فحسب ولكن بسبب ضيق الكهنة بعقلية أوديب
وكراهيتهم لتفكيره وحبهم لكريون . . ويرى ترزياس أن الظروف
تلائم الانقلاب ، فالمحنة تزلزل قوائم العرش . ويسأل أوديب
ترزياس علجا لهذه المحنة . ولكن ترزياس يعرض عنه فيثور أوديب
فى وجهه مثلما فعل فى مسرحية سوفوكليس . ولكنه هنا فى
مسرحنا ، يعلم ترزياس أن قناعه فى يده . وبامكانه أن يمزقه
ويكشف عن وجهه وقتما يشاء .

وأنشاء ثورة أوديب يطلعون الحكيم على المؤامرة التي دبرها
ترزياس واشترك فيها معه أوديب نفسه . تلك المؤامرة التي لم
يعد أوديب يخاف من عواقب الكشف عنها ...

والمؤامرة هي كذبة من صنع ترزياس الذي أشاع أن أوديب
بطل مع أنه في الحقيقة ليس بطلا . فهو كما يقول ، لم يلق
وحشا له جسم أسد وجناح نسر ووجه امرأة يطرح الأغا . وإنما
ما لقيه هو أسد عادى كان يفترس المتخلفين خلف أسوار طيبة ،
قتله بهراوته وألقى بجثته في النهر .

وكذبة ترزياس أشاعها من تلقاء نفسه لينصب أوديب ملكا
حيث لم يكن يرضى بكريون وقتئذ . فعلم أوديب حل اللغز ، كما
أنه كان قد أوحى للأيوس بفكرة قتل ابنه . موها اياه بأن السماء
هي التي ألهمته بذلك ليقصى عن العرش الوريث الشرعي رغبة منه
في أن يكون العرش لرجل غريب .. بالمفارقة ...

ويحاول ترزياس أن يخيف أوديب من الحقيقة ان هو فعل
ما نوى عليه فيخبره أوديب أنه لم يخف من الحقيقة قط مهما
كانت نتائج فعلته . ويقول : ان الملك ليس بغيته . فقد ترك
كورنث هربا من ذلك الملك من أجل البحث عن الحقيقة حقيقة
أصله .. فلم يكن يستطيع العيش في أكذوبة ، ولكنه جاء الى
طيبة ليعيش في أكذوبة أعظم وأكبر .

وبمقارنة موقف أوديب هنا بموقفه عند أندريه جيد ، نجد
أن خروجه عند جيد كان دافعه عدم الرغبة في الحصول على
ما لا يستحق فقد كان يعلم أن ملكا ليس من حقه سيئول اليه بعد
وفاة بوليب .

فالدافع الذي جعل أوديب يترك كورنث عند كليهما مقبول
ومبرر . الا أن أوديب الحكيم وقع في التناقض . فقد هرب من

كورنثه رفضا منه للحياة فى اكدوبة . ولكنه ، وبمحض ارادته وافق ترزياس على اكدوبة اخطر واعظم . . وهى اشاعته لبطولة اوديب التى سبقت الاشارة اليها . فقد وقع الحكيم فى هذا التناقض فى رسمه لشخصية اوديب مما اضعف من شخصيته .

ويضطر اوديب الى الصمت حتى لا يفجع اولاده وزوجته ، وهو هنا حريص كل الحرص على حياته وكيان أسرته .

وعندما يطمئن ترزياس تماما لجبن اوديب وخوفه من مواجهة الحقيقة يعلن فى وجهه أنه لا يخاف مما سيقوله اوديب عنه للشعب فهو أيضا - ترزياس - سيعلم للشعب الحقيقة وهى انه لم يفعل كل ما سبق ذكره الا من أجل رأى يؤمن به هو : « أن تكون لهم ارادة . لقد أراد أن يطوى صفحة الملك ليجعلهم يختارون لهم ملكا من عرض الطريق » .

لقد صور الحكيم شخصية ترزياس على أنها شخصية متسلطة . . متحكمة ومحركة لكل الأمور وفقا لارادتها . . ولكنه عاد بعد ذلك فأنطقها هذا الحوار الذى سرده فى السطور القليلة الفائتة . . والذى يبرر به كل أفعاله تبريرا منطقيا ومسببا فيحاول بذلك أن يخفف من مكره وشراسته .

وينصرف ترزياس الذى تدعوه جوكاست بالنبي .

ويدور حوار بين اوديب وجوكاست عما يحس به من ضيق فى صدره .

ويعود الحكيم للتأكيد على طبيعة علاقة اوديب بأنتيجون . فهى تستأثر باهتمام اوديب أكثر من غيرها فيسأل عنها باستمرار كما تنقل جوكاست لأوديب حب : انتيجون له وإيمانها الشديد به . وينطق الحكيم جوكاست هذه العبارة : « ان مصيرك معلق

بها » وكأنه يلقي بذلك أضواء على المستقبل أو يتنبأ به ، أو يمهده
له .

ويحضر كريون من المعبد وقد عقد على جبينه اكليلا من
الزهر . يحضر بصحبة كبير الكهنة الذى يطلب من أوديب أن
يستمع لكريون فى خلوة ولكن يرفض أوديب ويطلب منه الكلام
أمام الشعب . تماما كما فعل أوديب سوفوكليس . وبناء على
طلب أوديب يخبره كريون ان « اثما يدنس طبيعة . لابد من
محوه » . « وان دما قد سفك ، ولا مفر من غسل ذلك الدم
بالدم » . ويعرف أوديب للمرة الأولى أن الدم المقصود هو دم
« لا يوس » الملك المقتول . ويطلب كريون من أوديب أن يبحث عن
القاتل ، ويعد أوديب بذلك الذى يتفق وطبيعته المحبة للبحث
فيبدأ بحثه على الفور فى شكل تحقيق مع كريون . الا أن مفارقة
درامية تقع حيث نعلم ويعلم كريون والكاهن بحقيقة القاتل بينما
يجهل ذلك أوديب . ويدور حوار طويل بين ثلاثتهم . يفهم أوديب
منه خطأ أن القاتل هو ترضياس نفسه وتتجدد المفارقة الدرامية
مرة ، لا المفارقة التى توجد الضحك أو تبعث عليه . ويظل عنصر
التشويق Suspense الى تلك اللحظة التى تؤدى الى افصاح
الكاهن بالحقيقة أمام رغبة أوديب الملحة والمتلاحقة .

ولا يستطيع أوديب أن يصدق مرارة الحقيقة . فيواجهها
بالاتهام أو اتهام الوحي . أو كما قال : « وحي كريون . أو وحيكم
يا رجال الدين » . ويعتبر أوديب الوحي مؤامرة أو شركا ويثور
كريون فى وجه أوديب الذى اتهمه بالخيانة .

وفى نهاية الفصل الأول يخير أوديب كليهما بين الموت أو
النفى وتصرف أوديب هذا ناتج عن تأكده التام من تأمر كريون
والكاهن عليه ، وليس على حق فيما جاء به من وحي ، ولذلك فهو
يستخلم كل ما تملك يده من قوة وسلطة للتغلب على الموقف

الخرج الذي وضعاه فيه • ومن الخطأ أن نتصور أن أوديب فى تلك اللحظة بالذات قد تنكر لما كان قد عزم عليه من عقاب شديد ينزله بالقاتل لأنه اكتشف أنه القاتل • لا • • فأوديب ، كما سبق وأوضحنا ، متأكد من فكرة التآمر • • وهو حتى نهاية فصلنا الأول يستبعد تماما صحة فكرة كونه القاتل وأستطيع أن أؤكد ذلك من تصرف أوديب نفسه أمام ذلك الموقف الصعب • فهو لم يلح أو يطلب معرفة كيفية كونه القاتل ولعل ما وراء ذلك هو احساسه الأكيد ببراءته •

الفصل الثانى :

ويبدأ الفصل الثانى فى الساحة أمام القصر حيث يقف أوديب والكاهن وكريون وكأنهم مائلون أمام قضاة هم جوقة الشعب المحتشدة • ويعلن أوديب فى الشعب عن الجريمة التى ارتكبها كريون والكاهن ضد شخصه وعرشه • ويقف الشعب فى صف أوديب فى البداية حيث نرى الجوقة تقول :

الجوقة : « الويل لكل من يمس شعرة منك أيها الملك !! نحن لن ننسى أبدا أنك البطل الذى أنقذنا من « أبى الهول » ! •
اضرب أعداءك يا أوديب « بلا رحمة » ونحن معك •• » (١)

ويمضى الحوار بطيئا لا يدفع الحدث بسرعة الى أن تطلب الجوقة من كريون أن يخبرها بوحى دلف • فنعرف منه أن لايوس مات مقتولا بيد أوديب الا أن جوكاست تتدخل فى الموقف غير منجزة لأوديب أو كريون ، وتوضح أن الخطأ انما وقع فى فهم مرمى الوحى لا الوحى نفسه وتحاول أن تدلل على ذلك بنبوءة لايوس القديمة التى قالت انه سوف يموت بيد ابنه •• الا أن ابنه ذلك قد هلك كما نعلم •

وان كانت جوكاست بذلك تريد أن تبتعد عن الحقيقة الا أنها تقترب من تلك الحقيقة النائية بين الجميع •

(١) توفيق الحكيم • الملك أوديب • مكتبة الآداب - القاهرة - ص ١١٣ •

حيث تمس كلمات جوكاست اذن وعقل أوديب الذى يبدو عليه الذعر حين يصل الى سمعه أن لا يوس قد قتل عند ملتقى طرق
• ثلاث •

ويلح أوديب فى طلب المزيد من المعرفة من جوكاست •
ويعرف أن لا يوس قد قتل فى أرض يقال لها فوكيس • وذلك
قبل جلوس أوديب على العرش بزمن قليل •

وتكتمل الصورة فى ذهن أوديب فيزداد ذعرا وقلقا ويطلب
المزيد من المعرفة من جوكاست فيسال عن الشكل والهيئة التى
كان عليها لا يوس المقتول • ويتأكد بذلك أوديب من الحقيقة
وتتضح لعينيه وتستبين • الا أن أمل أوديب الوحيد يتعلق
بالراعى الذى بقى حيا بعد مقتل لا يوس • ويبعث أوديب فى طلبه
فيحضر ليحدث الانكشاف Discovery على يديه • حيث
يكتشف أوديب حقيقته المرة ويتأكد منها بدون أدنى شك •
فلا يهرب منها أو يتهرب وانما يعطى كل ذى حق حقه •

أوديب : « صدقت يا كرىون ! • • وصدق الوحي الذى جئت به
من معبد دلف ! • • ألتمس منك المغفرة ومن كبير الكهنة ،
فقد أثمت بسوء ظنى فيكما ، وبتوجيهى اليكما ذلك الاتهام
الباطل ! • • قاتل لا يوس بين أيديكم ! • • »

أيها الناس لن أحاول دفاعا عنه ، فأحكموا فيه بما ترون
وانزلوا به ما يستحق من عقاب » (١) •

وتحاول جوكاست الدفاع عنه الا أنه يرفض دفاعها ذلك •
وبيئنا أوديب كذلك ، اذا برسول من كورنثه يجرى برسالة
اليه • • أو بخبر يظنه سارا • وان كان فى حقيقته ملء بالقسوة • •

مؤلم حيث يعلم أوديب من الرسول ان طيبة هى مسقط رأسه وبناء عليه يتعرف أوديب على السر الذى يتوق الى معرفته .
يتعرف أوديب على حقيقته ، أو حقيقة أنه ابن زوجته
« جوكاست » و « لا يوس » الذى قتله فى الطريق . .

ولا تستطيع جوكاست الصمود أمام موقف صعب جدا لم تعتده فتهم مندفة نحو القصر ، الا أن أوديب يمنعها حتى تستمع للكلمات الراعى جميعها . . وما أن تستمع اليه حتى تسقط على الأرض فاقدة الوعي ، فيلتف الشعب من حول جسدها .
ويطلب أوديب ادخالها القصر . لينتهي الفصل الثانى بتجنبيه أو a side من تريزياس للقارىء أو المشاهد يبين فيها عن حقيقة شعوره تجاه ما يحدث . حيث يؤكد تريزياس بذلك تغير المؤلف توفيق الحكيم من حقيقة أو أصل النبوة التى عرفناها والتى تقول بأن أوديب طفل لا يوس سيكبر ويقتله ويتزوج من أمه بعد أن يعتلى عرشه ، غيرها الحكيم من نبوءة اله أو معبد الى آكلوبة نسجها عراف هو تريزياس بعينه الذى أوحى الى لا يوس بالتخلص من ابنه صغيرا حتى لا يتخلص منه كبيرا ويتم له ذلك وتتحقق أمنية ترسياس فى أن ينفى من طيبة وريث عرشها الشرعى ليكون العرش من نصيب آخر . هكذا تحققت الرغبة التريسياسية فقد أقصى الولد عن طيبة ولكنه لم يهلك وما لبث أن عاد اليها . .
وقد نصب ترسياس غريبا على العرش ولكن الغريب هو الوريث الشرعى للعرش .

يقول ترسياس فى نهاية الفصل الثانى فى حديث جانبي للجمهور أو فى « a side »

« اذهب بى أيها الظلام بعيدا عن هذا المكان ! . . فقد راق للمساء أن تتخذ ملعبا ! . . نعم ! . . ان الاله يلهو وينشئ فنا . . ويصنع قصة . . قصة على أساس فكرتى . . هى بالنسبة

الى « أوديب » .. و « جوكاست » .. مأساة .. وبالنسبة الى
 أنا ملهه ! .. عليكما اذن يا صاحبي هذا القصر ان تذرفا
 العبرات .. وعلى أنا أن أرسل الضحكات (يضحك كالمجنون) (١)
 ويبدأ الفصل الثالث والآخر الذي ابتناه المؤلف توفيق
 الحكيم من منظرين .. فنراه يصف المنظر الأول بأنه يدور داخل
 القصر « حيث جوكاست في حجرتها ملقاة على الفراش .. ومن
 حولها أوديب وأولادها ..

يطلب منهم أوديب أن يبتعدوا عنها قليلا .. وتحرك
 جوكاست أهدابها وتفرغ لبقائها حية . ويطلب أوديب من
 أنيجون أن تنصرف واخوتها .. وتستنكر جوكاست وضعها
 الجديد ، وتطلب الموت أفضل . الا أن أوديب يعبر لها عن حرصه
 التام على حياتها . وتخبره جوكاست أن لا فائدة في البقاء فأعداءهما
 ليسوا على الأرض أو في السماء . وانما عدوهما هو تلك الحقيقة
 المؤلمة التي أصر أوديب أن يكشف عنها كاملة غير منقوصة ، ويطيل
 توفيق الحكيم في هذا الموقف الذي يجمع بين أوديب وجوكاست
 ذلك الذي لم يفعله أحد قبله ممن تعرضنا لأعمالهم .. يطيل فيه
 على غير ما تعودنا من أجل الكشف والتأكيد على الصراع الأساسي
 في مسرحيته .. صراع الحقيقة والواقع فبعد أن اكتشفا الحقيقة
 كاملة . ها نحن نراهما حريصين على الواقع . أو بمعنى أدق نرى
 أوديب هو الحريص على ذلك الواقع بكل ما فيه . وان كانت
 جوكاست تريد الهرب منه بالموت .

وعندما يطلب أوديب من جوكاست أن تواجهه الواقع فهي
 تقول :

جوكاست : أي واقع نستطيع أن نواجه بعد اليوم ؟ !
 ويحجب أوديب عن سؤالها ، أو تساؤلها قائلا :

(١) المسرحية ص ١٥٦ .

أوديب : كيأنا الواحد .. أسرتنا المتحدة .. قلوبنا المتحابه ..
نفوسنا التي تعمرها المودة وتدعمها الرحمة ! .. من فى
مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان ؟! .. وأى قوة فى إمكانها
أن تدك هذا البرج المشيد من حب .. وعطف .. وحنان ! (١) .
يطلب ويلح أوديب عليها أن تنهض وتواجه الحياة قائلا :
« تقى أنه ما دامت لنا قلوب فنحن صالحون للبقاء !! .. » فترد
جوكاست : لم نعد نصلح للبقاء معا ..
ان أوديب هنا يصارع الحقيقة صراع دون كيشوت لطواحين
الهواء - ويقول :

« الحقيقة ؟! .. ما هى قوة هذه الحقيقة ؟! .. لو أنها كانت
أسدا ضاريا حاد المخالب والناب ؟ لقتلته وألقيت به بعيدا عن
طريقنا .. ولكنها شئ لا يوجد الا فى أذهاننا .. أنها وهم ! ..
أنها شبح .. ان ضربتى لا تنفذ فى أحشائها .. ويدى لا تنال
من كيأناها .. وحش مجنح حقا ! .. رابض فى الهواء .. لا نصل
إليه بسلاحنا ويقتل سعادتنا بالغازه ! .. » (٢)

ولما يطول هذا الموقف من المؤلف ولا يثمر حب كل من
أوديب وجوكاست عن شئ فهو (أقصد المؤلف) يلجأ لحيلة معروفة
فى تكنيكه أو تقنيته حيث يبين لنا تعب جوكاست وإرهاقها مما
يتطلب إنهاء الجدل ليتقدم الحدث للأمام بعض الشئ ، ولا يريد
أوديب أن يتركها وحدها . ولكنه يؤثر أن يطلب من أولادهما أن
يجلسوا معها ليعتنوا بها ويسروا عنها ..

ويخرج أوديب . وتأخذ جوكاست فى القاء نظرة الوداع على
كل ما حولها ومن حولها . وتوصى أنتيجون بأبيها خيرا اذا ما صار

(١) المسرحية ص ١٦١

(٢) المسرحية ص ١٦٦

وحيدا .. وتلح وتؤكد على وصيتها لانتيججون . لينتهى المنظر الأول من الفصل الثالث ويرتفع الستار عن المنظر الأخير في المسرحية في الساحة .. أمام القصر .. والجوقة تحتشد كما كانت في الفصل الثاني ولكن يقف بينها كل من كريون والكاهن . حيث ترثي الجوقة ذلك المصير الذي آل إليه أوديب وجوكاست وتفكر فيما عساهما فاعلان الآن ! . وما عساهما سيفعلان بعد اليوم .

ولا تجرؤ الجوقة المثلثة لشعب طيبة على استصدار قرار بصدد أوديب ولا يرضى ذلك ترزياس المسبب الأول لتلك المشكلة فيتهم الشعب في تفكيره بالجمود وتخبرنا الجوقة بقدم أوديب الذي يظن أن حكما قد استصدرته الجوقة في شأنه . لكن الكاهن يخبره بأن الشعب لم يستصدر شيئا . ويطلب منه ألا يتراجع فيما وعد به من عقاب لقاتل لا يوس . فيخبره أوديب أنه لن يتراجع .. بل يطلب منه أن يذكره بنوع العقاب الذي وعد به القاتل . فيعلم أنه الموت أو النفي .

ويعلم أوديب جنبه عن مواجهة الموت والسبب في ذلك هو حبه لأسرته . ويطلب من الكاهن أن يكون النفي من نصيبه فيرحل مع أسرته عن طيبة .. ويأبى كريون رحييل أوديب وأسرته . فيعتبر ذلك اطالة في تعذيبه واذلاله .. ويحضر ترسياس وبدلا من أن يطلب أوديب منه النصيح نجده يلومه أشد اللوم .. ويعنفه على فعلته المجرمة التي أوصلته لذلك المصير الراهن فيقول أوديب مخاطبا ترزياس :

« أنت الأعمى الذي ظن أنه يبصر للناس خيرا مما تبصر لهم السماء ! .. أنت الذي أردت فكانت ارادتك وبالا على الأبرياء .. لو أنك تركت الأمور تجري كما قدر لها أن تجري طبقا لنواميسها المرسومة .. لما كنت أنا اليوم مجرما ! ..

أردت أن تتحدى ارادة السماء فأبعدت أوديب صغيرا عن الملك ووضعت على العرش رجلا من صنعك .. فاذا بهذا الرجل الذي

وضعت ، هو عين أوديب الذى أبعدت .. لطالما زهوت بارادتك الحرة ! .. نعم .. كانت لك حقا .. ارادة حرة .. شهدت آثارها .. ولكنها كانت تتحرك دائما دون أن تعلم أو تشعر ، داخل اطار من ارادة السماء . (١) .

ويقابل ترسياس كل ذلك بالسخرية والتهكم الشديدين ثم ينصرف . لتدوى صيحة آتية من داخل القصر . وتنطلق انتيجون من بابه لتطلب من أوديب أن يسرع الى جوكاست .

ويتجهوا جميعهم الى الداخل الا أوديب الذى تطلب منه الجوقة أن ينتظر معها .. وبينما هم كذلك اذا بخادم يخرج من القصر وفي عينيه آيات الهلع . يقف ويعلن .. يعلن موت جوكاست .. ويصف ما حدث بالتفصيل ويضيف أن أوديب ما أن رأى ذلك حتى انتزع مشابك ثوب جوكاست الذهبية .. ودفعها دفعا عنيفا متصلا الى عينيه صائحا : « لن أبكيك الا بدموع من دم » (٢) .

ويؤكد أوديب بظهوره على المسرح خارجا من القصر ليعلن لشعبه عن عزمه فى الابتعاد كل الابتعاد عن أسوار طيبة محمدا بذلك مسار مصيره . ويخرج كريون من القصر فيوصيه أوديب خيرا بأبنائه الذين سيتركهم له يعتنى بهم .. بعد رحيله - يوصيه أكثر بانتيجون التى كانت أكثر التصاقا به من جميعهم .. ويطلب منه طلبه الأخير وهو اجراء الطقوس الجنائزية التى تليق بدفن جوكاست تلك المسجاة فى حجرتها ولكن يطمع أوديب فى طلب آخر قبل أن يرحل وهو لمس وجوه أولاده البريئة بأصابعه .. ويحضروا .. فتبه انتيجون عينيه محاولة بذلك أن تبصر له الأشياء لكنه يرفض فى البداية ليوافق فى النهاية بعد أن تعبر له انتيجون عن ايمانها التام به وببطولته اذ تقول :

(١) المسرحية ص ١٨١ .

(٢) المسرحية ص ١٠١ .

« ابتاه • انك لم تكن قط بطلا • • مثلما أنت اليوم ! • • »

ويسدل الستار على المنظر الأخير من المسرحية بعد أن يوصى
أوديب أولاده بكريون الذي سيرعاهم ويطلب منهم أن يتخذوه مثلاً
وقدوة •

الحكيم والأسطورة :

لا يؤمن الحكيم ، كمسلم ، بتدبير سابق من جانب الاله • •
وهو لذلك ينفي تماماً النبوة التي أوصى بها الاله أبوللو حيث كان
خدرا في الاسطورة وفي مسرحية سوفوكليس من ذلك الولد الذي
سيرزق به لايوس من صلبه فيشب ويقتل أباه ويتزوج من أمه
ويرث العرش بعده • •

ولذلك فقد جعل الحكيم ترزياس هو الذي يوصى ، قبل أحداث
المسرحية ، الملك لايوس بقتل أوديب ابنه موهما إياه بأن السماء
هي التي ألهمته ذلك أو أوحى إليه به ، لأن الولد اذا شب فكبر
فسيقول أباه ويتزوج من أمه - وينفذ لايوس ارادة ترزياس
لا ارادة الآلهة أو وحيهم بأن يقصى عن عرش طيبة وريثه الشرعى
ثم يجلب إليه آخر ، بعد مقتل لايوس ، ظناً منه أنه غريب عن
العرش والبلد اختاره بمحض ارادته فأودعه سر الوحش ليهلكه
وقد كان له ذلك وآل إليه العرش ويد الملكة •

هكذا غير توفيق الحكيم في النبوة لتخدم غرضه ومسرحيته
ويرى الدكتور محمد مندور في كتابه مسرح توفيق الحكيم •

في ذلك الفصل الذى خصصه لنقد مسرحية أوديب الملك
لتوفيق الحكيم والذى يحمل عنوان « الحقيقة والوهم » ما يرى المؤلف
نفس الرأى الذى توصلت إليه فى نفس السطور القليلة الفائتة حيث
يقول :

« أما عن تعاليم الاسلام فقد رأى توفيق الحكيم كمسلم أنه لا يستطيع أن ينسب الى الاله ارادة شريرة مأكرة • كالارادة الظالمة التي ألزمت أوديب قضاء المنحوس ، ولذلك نراه يفسر في مسرحيته بمهارة فائقة ما زعمه سوفوكليس من أن ما تردى فيه أوديب من اثم انما كان تنفيذا لحكم القضاء والقدر ، فزعم توفيق أن الذى دبر هذه المأساة انما كان كاهنا أعمى يسمى ترزياس نقم على لا يوس ملك طيبة وأسرته وأراد أن يعمل لكى ينتقل الملك الى غير هذه الأسرة فأوهم لا يوس بأن العرافة قد تنبأت بأن انه سيقتله ويتزوج من أمه ويعتلى العرش •

وذلك حتى يحرم لا يوس نفسه من ولى العهد ، كما أن ترسياس هو الذى أوحى للراعى بالآلا يلقي بالطفل الى التهلكة فى الجبل ، وهو فى النهاية الذى ظل يتابع خطوات أوديب ويدبر المكائد فيزعم مثلا أن الحيوان الذى قتله أوديب لم يكن أبا الهول بل كان فى الحقيقة أسدا عاديا استطاع أوديب أن يصرعه ، وقد اتخذ ترزياس هذه الأكذوبة وسيلة يمهد بها لتولى أوديب العرش مكافاة له من شعب طيبة على بطولته • واذن فالاله ليس شريرا ولا يمكن أن يدبر كل هذا الشر لأوديب والشر لا ينبع الا من البشر وما يصيبهم من هذا الشر فهو من أنفسهم » (١) •

الصراع الدرامى : Dramatic conflict

ان الصراع فى مسرحية توفيق الحكيم قائم على مستويين • •
 صراع فى داخل أوديب Inner conflict حيث يصطارع داخليا من أجل معرفة الحقيقة ، تلك التى لا ينبغى له أن يعرفها • والمستوى الآخر من الصراع يتجسد فى قوتين : الحقيقة فى مقابل « الواقع »

(١) د • محمد مندور • مسرح توفيق الحكيم • دار نهضة مصر - القاهرة

٠٠ حيث يرفض « الواقع » الاذعان « للحقيقة » رغم وضوحها وحدتها وصرامتها ٠ ثم يضطر بعد ذلك للخضوع ٠

الشخصيات : Characters

شخصية أوديب :

فى رسم الحكيم لشخصية أوديب شيء من التناقض ، والتشويه لتلك الشخصية ٠٠ فالتناقض ناتج - كما سبق أن أوضحنا فى عرضنا وتحليلنا لفصول المسرحية - من أن أوديب قد خرج أو غادر كورنته رفضاً منه للحياة فى أكذوبة ٠٠ ولكنه ، وبمحض إرادته ، قد وافق ترزيباس على أكذوبة أكبر وأخطر وأعظم ، هى إشاعته لبطولة أوديب التى أشرت إليها بالتفصيل من قبل ٠ فقد وقع الحكيم فى هذا التناقض الذى أضعف الشخصية ٠

أضف الى ذلك موقف أوديب فى نهاية المسرحية ٠٠ وهو الموقف المخالف تماماً له فى بداية المسرحية ، حيث نجده فى النهاية يرفض الحقيقة ، ويأبى إلا أن يعيش فى أكذوبة الواقع ، بل ويحاول اقناع وإرغام جوكاست على ذلك رغم رفضها ٠

قلت : انه فى رسم الحكيم لشخصية أوديب شيء من التناقض ، والتشويه ٠ وقد أوضحت ما أعنيه بالتناقض ، يبقى الآن المقصود بالتشويه ٠

لقد جعل « أوديب » مزيفاً وحليفاً لتآمر هو « ترزيباس » ٠٠ مزيف لأنه غير من وصفه لحقيقة الوحش الذى صادفه ، فجعل منه وحشاً أسطورياً ، بينما ما قابله فى الحقيقة ، هو حيوان عادى ٠٠ تآمر مع ترزيباس على القضاء عليه ، وإشاعة الأساطير والبطولات حوله ٠

وبذلك يكون الحكيم قد قضى على ما جاء بالأسطورة ،
وبمسرحية سوفوكليس من حقيقة أبى الهول ، ومن أنه حيوان له
جسم أسد ، وأجنحة نسر ، وذيل حية ، ويلقى الفاذا على المارة
ليفترس منهم من لا يجيب عليها .

وعن التناقض فى شخصية أوديب يقول الدكتور أحمد
شمس الدين الحجاجي « لقد أفلتت هذه الشخصية من يد الحكيم ،
فلم يستطع أن يزيل التناقض الذى أوقعها فيه . هذا التناقض أبعد
الشخصية عن أن تكون شخصية تراجيدية ، واختلط أمرها دون أن
يكون لديها وضوح يذكر ، (١) » .



شخصية جوكاست :

شخصية جوكاست هى الشخصية الضدية الستارية
foil Character التى تبرز شخصية أوديب وتوضحها .

ان جوكاست لم تكن تحب لايوس .. ذلك الشخص
أو الشخصية الغائبة عن المسرح « Off-Stage Character » والذى
مات قبل رفع الستار بأكثر من سبع عشرة سنة تاركا إياها فى
عنفوان شبابها وزهرة عمرها تعيش فى قصر بلا زوج .

لقد أبانت (أظهرت) لنا جوكاست - كما سبق وأوضحنا فى
عرضنا للمسرحية - عما كان بداخلها من مشاعر تجاه ذلك الذى
كتب له أن يعتلى العرش ويتزوجها بعد حله للغز الوحش : لقد
تساءلت قبل أن تراه .. هل ستجبه ؟ .

(١) د . أحمد شمس الدين الحجاجي - الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر .

لم يكن ما يهمها من الفائز بالعرش ؟ .. وانما الذي يهمها من هو الفائز بالقلب !! وقلب المرأة .. لا قلب الملكة .. قلب المرأة الذي لم يكن يعرف الحب رغم زواجها المبكر من لا يوس ، الذي كان يكبرها سنا .. فلم تجد سعادة معه .. وقد أخذت تبحث عنها بعد أن مات .

من كل ما سبق ، يتضح لنا سبب حب قوى يربط مدة سبع عشرة سنة بين قلبي جوكاست وأوديب .. ذلك الحب الذي دفع أوديب الى رفض الحقيقة ، في نهاية المسرحية رفضا تاما ، وحرصه على الارتواء في أحضان الواقع والاستمرار فيه مع جوكاست رغم معرفته أنها أمه .. لقد كان الحب قويا .. أقوى من أى شيء سواه .

شخصية تريزياس :

شخصية تريزياس هي الشخصية التالية لشخصية جوكاست في الأهمية في مسرحية توفيق الحكيم . وهي الشخصية التي غير الحكيم كثيرا في تصوير ملامحها لتبدو مغايرة للأسطورة ولشخصية تريزياس - سوفوكليس . ولعل ذلك مرجعه الأساسي رغبة الحكيم في الاطاحة بفكرة النبوة أو الوحي الصادر عن الآلهة والذي يتعارض وفلسفته .

فتريزياس ، في مسرحية الحكيم ، ليس ذلك الذي يصفه الدكتور إبراهيم حمادة في مقال له بعنوان : « كوميديا أوديب فانتازية هادفة » حيث يقول :

« يصدق هذا على ما ورد في الأساطير اليونانية من أن الآلهة هيرا أعمته ، بينما كافأه إله زيوس ومنحه عمرا مديدا مكنه من أن يعاصر الجيل السابع » (١) .

(١) دكتور إبراهيم حمادة كوميديا أوديب فانتازية هادفة . جريدة المساء عدد ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٠ .

ليس هو تريزياس الذى منحه زويوس القدرة على الاطلاع على
المجهول ، وانما هو تريزياس من نوع جديد .. كاذب .. ومحتال ،
وقد كذب على لايوس حين أوحى اليه بفكرة قتل ابنه - كما سبق
وذكرنا فى عرضنا للمسرحية - وهما اياه أن السماء هى التى
ألهمته ذلك . وذلك ليقصى عن العرش وريثه الشرعى رغبة منه فى
أن يثول العرش لرجل غريب .

ولو عدنا قليلا لمسرحية أندرية جيد ، ونظرنا بعض الوقت
لشخصية أوديب عنده ، لأحسبنا بتشابه كبير ، لا بين أوديب
وأوديب ، ولكن لأدركنا شيئا كبيرا وتشابها الى حد كبير بين
« أوديب - أندرية جيد » وتريزياس - توفيق الحكيم ، فكلاهما
تسيطر عليه ، الى درجة كبيرة ، فكرة تأليه الانسان وارادته
وقدرته ، وان كان يبدو لنا أن توفيق الحكيم قد ألت عليه شخصية
بجماليون .. الفنان المبدع ، وهو يرسم شخصية تريزياس ، فلم
يدعها تمر بسلام ، بل أصر على الاستفادة منها فى اصفاء رتوش
وملامح على تلك الشخصية . فنجد أن تريزياس بدلا من أن يخلق
تمثالا جميلا وينفخ فيه الروح ، فهو يغير مجريات الأمور بما له
من .. سعة حيلة .. ودهاء ، فيقصى عن العرش وريثه الشرعى
بكذبة أطلق عليها لفظة « الوحي » وان كانت أبعد ما تكون عنه .

شخصية كريون :

رسم الحكيم شخصية كريون بحيث نصطدم معها - فى
البداية - طائنين أنها شخصية شريرة متآمرة ، ثم كشف فى النهاية
عن حقيقة جوهرها ، أو حقيقتها الداخلية ، فجعلنا نتعاطف معها
كل التعاطف .

ولو كنا تركنا مسألة التعاطف أو عدمه ، لأدركنا أن كريون
- توفيق الحكيم هو عين كريون - سوفوكليس . فقد منح كريون

العرش لمن يستحقه ، أو لمن استطاع أن ينقذ طيبة من الوحش .
فهو حريص ، منذ البداية ، على مصلحة طيبة . وهو ، هنا ، الذى
أرسله الشعب للمعبد ، وليس أوديب كما فعل سوفوكليس .
وعاد كريون بما سمعه هناك كاملا فأعلنه ، وحدث ما رأينا من
صدام بينه وبين أوديب ، وأدى الى اتهام أوديب له بالخيانة ، الا أنه
- فى النهاية - استطاع أن يثبت براءته ، ويسترد ثقة أوديب به
وعطفه عليه بل عطف كريون نفسه على أوديب . عندما طلب منه
الأخير أن يعتنى بأولاده ، وطلب من أولاده أن يتخذوه مثلا وقدوة .
» ان كريون يفضل الملك فى الظل « (١) .

» واختزل الحكيم الصورة التى رسمها لكريون على أنه الرجل
الثانى فى عبارة أوردها حين اتهمه أوديب أنه على رأس الطامعين فى
العرش وأن الكهان غرروا به وكان كريون يرد عليه بما ينبىء أنه
نظرا للعلاقة التى بينهما ، لا يمكن أن يؤذيه ويؤذى جوكاستا ، فان
السلطان كان فى يده قبل أن يقدم أوديب فنزل عنه طائعا طبقا
لمنفعة الشعب وطاعته لنصيحة أهل القداسة والالهام « (٢) .

حول نهاية المسرحية :

أما نهاية المسرحية ، فقد غير الحكيم فيها تغييرا كبيرا . فخصص
لها الفصل الثالث بمنظريه كاملين ، وهو بدلا من أن يحتفظ للأساة
بحرارتها ودفئها كما فعل سوفوكليس ، واندريه جبد الى حد ما .
فقد ميع الحكيم النهاية بحواره الطويل الذى أنطقه لجوكاست

(١) أحمد شمس الدين الحجاجى . الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر
ص ١٤٧ .

(٢) أحمد شمس الدين الحجاجى . الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر
ص ١٤٩ .

وأوديب من أجل اثبات ، أو خدمة ذلك الصراع الذى بنى عليه
مسرحيته .. صراع الحقيقة والواقع .. الواقع الذى اتضح ..
اتضح أن أوديب يعاشر أمه لا زوجته . أو أما قبل أن تكون الزوجة
أو المعشوقة والمحبوبة .

فيدعوها الى الاستمرار فى رفض الحقيقة بوضع الأصابع فى
الآذان ، وعدم الاذعان الا لسلطان الحب وحده .

ومع كل ذلك ، لم يستطع الحكيم أن ينهى مسرحيته عند
تلك اللحظة .. بل وقع أسيرا لسلطة أو سطوة أو سحر
الاسطورة ، وجمال مسرحية سوفوكليس .. فلم يستطع الفرار .
وجعل نهايته تأتي تقليدية بعد أن ميعها . لتحسب تلك النهاية
مع نقاط ضعف المسرحية ، أو سلبياتها .

الباب الثاني

مأساة أوديب عام ١٩٤٩ لعلی أحمد باكثير

« ويح أوديب .. لعلالما سعى مفتوح العينين
وهو نائم ، فلما استيقظ اغمض عينيه ؟ »

— ترزياس —

في نهاية المشهد الأول من الفصل الأول

مقدمة عن المؤلف :

على أحمد باكثير من جيل الرواد فى الكتابة لمسرحنا المصرى وللمسرح العربى ، وقد ولد فى أندونيسيا عام ١٩١٠ وهو من أصل حضرمى (من حضرموت) بعد ثمانى سنوات من الميلاد ترك اندونيسيا الى حضرموت حيث تلقى دراسته وتعليمه الذى كان فى معظمه دينيا ، ولعل هذا ما انعكس بوضوح على معظم أعماله المسرحية ولا سيما مسرحيتنا « مأساة أوديب » موضوع دراستنا .

زار مصر فى عام ١٩٢٤ وأقام فيها حيث درس اللغة الانجليزية وآدابها ، تنقسم مسرحيات باكثير الى أربعة أقسام هى : المسرحيات ذات الأصل التاريخى ، المسرحيات ذات الخلفية السياسية ، المسرحيات ذات الاطار الأسطورى ، وأخيرا المسرحيات الاجتماعية الخفيفة .

★ فى النوع الأول كتب مسرحيات :

- ١ - اخناتون ونفرتيتى
- ٢ - عمر وخاله
- ٣ - ملحمة عمر بن الخطاب
- ٤ - سر شهرزاد
- ٥ - مضحك الخليفة
- ٦ - سر الحاكم بأمر الله

★ وفي النوع الثاني كتب مسرحيات :

- ١ - شيلوك الجديد
- ٢ - امبراطورية في المزد
- ٣ - اله اسرائيل
- ٤ - اورشليم الجديد
- ٥ - مسمار جحا

★ وفي الموضوعات ذات الاصل الاسطوري كتب :

- ١ - فاوست الجديد
- ٢ - مأساة اوديب
- ٣ - الفلاح الفصيح
- ٤ - الفرعون الموعود
- ٥ - اوزوريس

★ وفي الموضوعات الاجتماعية كتب :

- ١ - جلفدان هانم
- ٢ - جبل الغسيل
- ٣ - قطط وفتران

فضلا عن :

- ٤ - اوبرا قصر الهودج
- ٥ - واوبريت شادية الاسلام

الفصل لثانى

مأساة أوديب عام ١٩٤٩
لعللى أحمد باكتير

عرض للمسرحية ، وتحليلها ، وبنائها

الفصل الأول :

أعود قليلا الى ما قبل الفصل الأول حيث يفتتح « باكتير »
مسرحيته بعبارة من القرآن الكريم تقول :

« ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين •
انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون »

وقد وفق باكتير كثيرا فى هذا الاستشهاد من القرآن الذى
يلقى ظلالة على أحداث المسرحية • وسندلل على حكمنا فى الموضع
المناسب من تحليلنا للنص حتى لا نسبق الأحداث •

يبدأ الفصل الأول فى بهو القصر الفخم ويشغل صدر
المسرح كرسى طويل وكراس أخرى الى جانبه • حيث يجلس
كريون وجوكاسست يتحدثان فيبينان عن الجو العام أو
ال Atmosphere الذى تدور فيه الأحداث • فكريون يسأل

جوكاست عما اذا كانت قد كلمت أوديب البارحة أم لا ؟ ٠٠ وهي ترد بأنها كلمته كثيرا ٠٠ صباحا ومساء ٠ ولكنها لم تلمس منه اقتناعا ٠٠ ويعود كريون ليشير الى المجاعة والوباء المنتشرين ٠ والشكوى المرتفعة الملحة في أن يرسل أوديب في استفتاء المعبد ٠ ولكنه يبدو أن أوديب غير مقتنع بذلك ومن هنا يأتي الخلاف بين جوكاست وكريون من جانب وبين الملك من جانب آخر ٠ ولا يريد باكثر أن يظهر أوديب سلبيًا في مواجهة الموقف بل يصوره غارقا فيه بفكره وسهره والابتعاد عن الطعام والشراب ٠ وينقل اليأس باكثر رغبة أوديب في مصادرة أموال المعبد وما يمكن أن يتعرض له من خطر من لدى الكاهن الأكبر بتجرئه على ذلك ٠

ان أوديب يستهين بكل شيء في سبيل مصلحة شعب طيبة ٠ وان كان شعب طيبة قد يسيء فهم ذلك نتيجة لصمت أوديب عن أجابته لمطلبه ٠

وسبب اهمال أوديب مطلب شعبه يرجع الى ايمان الشعب الشديد بالمعبد بينما أوديب ضد ذلك المعبد الذي منه تنبعت نكبة الشعب وبؤسه ويوضح باكثر من البداية معالم شخصية جوكاست التي لا يسيطر عليها الا الخوف والحذر ٠

جوكاست المرأة التي تحمل بداخلها كل ما تحمله امرأة من حرص على كتمان سر والبقاء عليه وصونه دون افشاء مهما كلفها ذلك من مال أو عرضها لخطر ٠

ويخطيء باكثر فيبين منذ اللحظات الأولى عن نقطة ضعف أوديب ، أو سقطته ، وصراحة يذكرها على لسان جوكاست التي تقول له « انك يا خبيبي أشجع ما ينبغي لك ، والشجاعة عمياء » ٠

فأوديب في رأى باكثر ، أشجع مما ينبغي ، وهذه الشجاعة تنعكس في تصرفاته التي ستؤدي به الى نهايته ، وان كان باكثر

قد رسم شخصية أوديب على أنها شخصية تراجيدية تسبب غلطة أو خطأ مأساويًا بداخلها «Tragic Flaw or Hamartia» في مصيرها المأساوي إلا أننا سنرى أنه - رغم ذلك لم ينجح في جعلها شخصية تراجيدية بأي حال من الأحوال - لقد ظهرت في صورة أقرب إلى البطل الشعبي الذي يختار المخاطر والصعاب ، ويتغلب عليها ، ولم يقترب - على الإطلاق - من صورة بطل مأساوي أو بطل تراجيدى بمفهوم أرسطو .

لا أريد أن أستغرق الكثير في تلك النقطة ، رغم أهميتها ، في الحكم على الشخصية ، وعلى المسرحية بعدها ، بل أعود إلى الأحداث لأسايرها أو أسير معها . ان جوكاست تطلعننا على السر الخطير ، الذى سبق أن قلت أنها كامرأة تحب أن تعيش على كتمانها بداخلها . . . والسر هذا خطير ، وجوكاست خائفة أن يهتك الكاهن الأكبر إذا ما علم باعتزام أوديب على مصادرة أموال المعبود والسر الذى تخاف منه جوكاست الآن . هو كون أوديب قاتل لايوس . وعلم جوكاست بهذه الحقيقة أو بهذا السر مغاير تماما لأسطورة أوديب ولسرحية سوفوكليس ، وللمعالجات الكثيرة الأخرى . ان هذا العلم من جانب شخصية جوكاست ، ومن قبلها شخصية أوديب ، ستجعلهما مسئولين تمام المسئولية وكاملها عن فعلهما واثمهما . كيف تتزوج من قاتل زوجها وهى تعلم بذلك ؟

ان ذلك يعنى مخالفة الاسطورة مخالفة كبرى . وتغيير ملامحها ومعالمها التى اكتسبت بها شخصيتها وأهميتها ، والتى بدونها تصبح شيئًا آخر تماما .

ان أوديب سوفوكليس فعل كل ما فعل من آثام وهو لا يدرك إطلاقا حقيقة ما يفعل ، وهذا ما جعلنا نتعاطف معه عندما واجه الحقيقة ، وهذا أيضا هو ما أدى إلى التطهير «Catharsis» حيث أثار شفقتنا عليه وخوفنا من مقابلة مثل ما قابله .

- ولكن كيف نتعاطف مع أوديب - باكثير ؟
 - وكيف يثير عطفنا وشفقتنا ، وهو فى نظرنا آثم لانه
 يعلم - منذ البداية - حقيقة ما يرتكبه من أخطاء ومع ذلك
 يسير ويتمادى ؟

أحداث المسرحية الأولى تعطينا هذا الاحساس ، وهذا التصور
 لشخصية أوديب . ولكن يبدو أن المؤلف أدرك ذلك فعمل على
 تداركه بأن فسر تصرفات أوديب تحت ضوء جديد . . أقصد فى
 ضوء تدبير كبير الكهنة . . ذلك الذى رسم مؤامرة ، وحبك
 خيوطها جميعها ليوقع أوديب فيها ، وقد كان له ذلك . الا أن تلك
 المؤامرة تكتشف فى نهاية المسرحية فيلقى « لوكسنياس » جزاء
 ما اقترفت يده .

نعود الى أحداث المسرحية « حيث تعبر » جوكاست عن حبها
 الشديد « لأوديب » وكراميتها لذكر اسم « لايوس » الذى يعكس
 صفوها مع من تحب .

وهى - مع ذلك - تتفق مع « جوكاست - الحكيم » التى رأت
 فى أوديب حلم حياتها ، فكان لها عوضا عن كل شيء . عن ما قضته
 فى أحضان « لايوس » العجوز الذى يقارب والدها سنا .

ويجرى المؤلف حوارا على لسان أوديب وهو أقرب الى التحقيق
 . . حيث يسأل « جوكاست » عما اذا كانت قد شعرت بحرج من
 زواجها به . . وهو قاتل زوجها ؟ فتجيبه بأن تلك مشيئة القدر . .
 الذى قد يكون فى ذلك عقابا لقتل « لايوس » لابنه وهو فى المهد
 صغيرا . . وان كانت « جوكاست » ، هنا ، تعلم بأن زوجها هو
 قاتل زوجها السابق ، الا أنها لا تعلم - على الاطلاق - انه ابنها .

وعلى العكس من ذلك ، فان أوديب يعلم بأن « جوكاست »
 أمه قبل أن تكون زوجته - وهو يعلم ويعرف - ورغم ذلك لم يمتنع

عن الزواج منها - رغم علمه ومعرفتها - مما يجعلنا نستنكر هذا التصرف الغير الطبيعي والذي يضعف من قيمة الشخصية والأحداث .

ويخبر « كريون » « أوديب » بقدم « تريزياس » . . الكاهن الذي نبذه المعبد منذ زمن طويل . وأمام هذا الموقف يظهر لنا جبن « جوكاست » وخوفها انها تطلب من « أوديب » ألا يسمح له بالدخول خوفا من علم الكاهن الأكبر بذلك . وتسببه في ايذاء أوديب .

وأمام هذا الموقف أيضا تتضح شجاعة أوديب التي سبقت أن وصفتها « جوكاست » بأنها « أكثر مما ينبغي » ، فهو يحرص على مقابله .

وتأخذ « جوكاست » في تعديد صفات « تريزياس » ، فتارة تقول « انه مخيف » وأخرى « انه عظيم المكر » وأخيرا تعبر عن خوفها منه قائلة أن قلبها يحدثها بشر من قبله .

ويدخل « تريزياس » فيلتمس من « أوديب » البقاء في قصره ، فيرحب « أوديب » لتبدأ المناقشة بين الملك والكاهن المنبوذ من المعبد - حيث يظن « أوديب » - في البداية - أن « تريزياس » كافر بالمعبد ولذلك قد طرد منه ولكنه يعود ويعلم أن « تريزياس » قد طرد من المعبد لأنه مؤمن بالاله . منكر لتصرفات كهنة المعبد . ولذلك ، « فتريزياس » يتفق مع « أوديب » وان كان يختلف معه في موافقته على مصادرة أموال المعبد وتوزيعها على الشعب المنكوب . ويختلف معه في انكاره للاله . وثمة تشابه ، هنا ، بين « أوديب » - باكتير - و « أوديب » أندريه في أن كليهما ملحد . وان كان أوديب جيد « قد آمن أولا وأخيرا بالانسان ومقدرته وفرديته ، فان أوديب باكتير ملحد لأنه يرى أن ما يفعله الاله هو محض افتراء عليه .

ويتفق معنا رأى الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى اذ يقول
فى كتابه « الأسطورة فى المسرح المعاصر » ص ١٤٠ :

« كان أوضح من تأثير به باكتير فى رسمه لشخصية أوديب
هو أندريه جيد وكأنما أراد أن يعارضه فى عمله هذا ، فان ابراز
أوديب فى البداية ملحا لا يؤمن باله الا عقله و ارادته .

ويختلف الحاد أوديب جيد عن الحاد أوديب باكتير ، فان أوديب
جيد كان لا يؤمن بغير الانسان ، ولا يرى قوة فى الأرض غير قوة
الانسان ، أما أوديب باكتير فقد كفر بالاله ، لأن وحيه كشف له
عن اله قاسى . وحين يأتبه تريزياس فيرحب به ، ظنا منه أنه ملحد
مثله ، غير أن تريزياس جاء ليعيده الى حظيرة الايمان ، فان الله الحق
لا يوحى بالشر والاثم ، وانما يوحى بالخير والبر » .

ولو عدنا لأحداث المسرحية لوجدنا أن أوديب أخذ يستمع
من تريزياس الى كل تفاصيل مؤامرة « لوكسياس » كبير الكهنة التى
هى مؤامرة فرد وليست مؤامرة أو وحي اله كما كان أوديب يظن
ذلك .

(الوحي الكاذب هنا أو محاولة استفادة كاهن عن طريق
وحي كاذب نجدها فى مسرحية الحكيم . حيث يخطط تريزياس
— هناك — ليتخلص من ابن لايوس . ويخطط بعد ذلك لمساعدة
أوديب على حل اللغز واجلاسـه على عرش طيبة مسيرا بذلك الأحداث
تبعا لرغبته و ارادته هو .)

فهنا نجد « لوكسياس » قد اختلق وحيًا وقت أن كان لايوس
حيًا يرزق دفعه الى اختلاقه حبه فى المال حيث تقاضى من بوليـب
الذى كان خصم لايوس ألف أبول فى مقابل القضاء على ولد
لايوس أو الوريث الشرعى له وولى العهد الذى يهدد وجوده أمن
بوليـب الذى كان محروم الولد .

(وهنا أيضا يخرج باكثر من الاطار العام للاسطورة ويخالفه بجعله لايوس ، وبوليبي يختصمان على زعامة هيلاس) .

وبعد أن يكذب تريزياس هذه النبوءة الأولى يكشف عن كون أوديب ابنا لايوس تلك الحقيقة التي لم يكن ليصدقها أوديب .

وما تقول الاسطورة بأنه قد جاء مصادفة يجعله باكثر مقصودا وعن عمد مرتب بدقة متناهية فلوكسياس كبير الكهنة يوعز الى الراعى الذى حمل لابن لايوس ليقتله الا يقتله ويخبره بأن ذلك وحى من الاله . بل يطلب منه أن يسلمه للراعى الكورنثى . ويفعل ذلك .

ومن جهة أخرى كان لوكسياس قد أوعز الى الراعى الكورنثى أن يسلم الطفل لبوليبي فتبناه بوليبي بعد أن تسلمه فرباه أحسن تربية الى أن كبر فأوعز الكاهن الى شاب صديق لأوديب فى شبابه هو « يونتيس » أن يطلعه على أنه ليس ابنا للملك بوليبي وزوجته ميروب . فى أحد مجالس الشراب التي أخبرتنا بها الاسطورة . ويذهب أوديب لسؤال المعبد فى دلف . فيخبره لوكسياس أنه ابن لايوس وجوكاست وأنه قد قدر عليه أن يقتل أباه ويتزوج من أمه (ونلاحظ أن علم أوديب هنا بوالديه الحقيقيين قد تنافى مع المعالجات الكثيرة التي تفترض باستمرار جهل أوديب بحقيقة أبويه ذلك الجهل الذى يدفعه الى أن يسلك مسلكه فى المسرحية ليجعلنا على الدوام ندرك بمأساته وتعاطف معه ونأسى له ونأسف ونشفق عليه) .

وعملا بالمبدأ الذى يقول بأن المحذور دائما ، مرغوب فيه ، فإن لوكسياس يحذر أوديب من الذهاب الى طيبة لا يمانع بينه وبين ذهابه لطيبة ولكن ليغريه بالذهاب اليها عملا بالمبدأ الذى ذكرته آنفا .

وينهى لوكسياس مهمته مع أوديب ليبدأها مع لايوس ،

فيخبره ، وقد علم باعتزام أوديب على الذهاب لطيبة ، يخبره بنجاة أوديب من القتل حيا واقامته في قصر بوليبي عدوه . بل واعتزاه على المجيء اليه ليقتله . . وبذلك يدفع لايوس على أن يتجهز للقضاء على أوديب قبل أن يقضى هو عليه . وفي الطريق بين دلف ودوليس يقابل أوديب ويتصدى له ، ولكن بدلا من أن يتخلص لايوس منه كما اعتزم ذلك تشاء الصدفة أن يتخلص أوديب من لايوس عن غير قصد ، وأقول عن « غير قصد » لأن أوديب كان قد تعرف على أبيه ولم يرد أن يمسه بضر . بل أراد أن يقبله . وما كان من قتل لايوس الا نتيجة لرغبة مسبقة منه في التخلص من ابنه . ولكن الصدفة تعكس الوضع وتقضى على لايوس قاصد القتل عمدا ولكن عن غير عمد من قاتله أو ابنه أوديب .

(وهذا الموقف أن كان يتفق من ناحية الشكل العام مع الاسطورة الا أنه يخالفها فصحيح أن أوديب قد قتل أباه في هذا المكان عن غير عمد في الاسطورة الا أن غير الصحيح أن أوديب في الاسطورة كان يجهل كون ذلك الشيخ الذي يعترضه أباه ومن هنا جاء القتل عن جهل بالاضافة الى أنه عن غير عمد) .

وعندما يتوجه أوديب لطيبة بعد ذلك رغم تكرار تحذير لوكسياس له المقصود به اغراءه بالذهاب لا التحذير منه . فهو يذهب . . فيصطنع لوكسياس أبا الهول الدمية التي يجلس بداخلها شخص يحركها ويلقي سؤالا على أوديب يعرف أوديب حله حق المعرفة من ميروب التي كان يعيش معها فيحله ويصرع أبا الهول المزيف أو المأمور بأن ينصرع من قبل لوكسياس لينال أوديب الجائزة عرش طيبة ويد ملكتها جوكاست أمه . التي تعلم من الشخص الوحيد الذي نجا من القتل أن قاتل لايوس هو أوديب ولكنها تتغاضى عن ذلك مؤثرة العيش في حضن رجل أحبته تطمع في أن يعوضها ما فقدته من سعادة مع لايوس فالحى عندها أبقى من الميت - كما تقول الاسطورة الرومانية .

وبعد أن تتكشف الحقيقة كاملة واضحة أمام عيني أوديب
نجدده يغشى عليه لينتهي المنظر الأول من الفصل الأول من المسرحية
بجملة قصيرة من تريزياس ، حملها باكثير إيماءات ورموز شفافة
فهو يقول : « هوني عليك يا جوكاستا ، فلا بأس عليه الآن . .
لقد كان نائما . . فاستيقظ . »

فتريزياس هنا لا يقصد النوم والاستيقاظ بمعناهما الواقعي
كنوم واستيقاظ وإنما هو يقصد ظلال معانيهما « فالنوم » قد يكون
حالة أوديب وجهله السابق للحظة تكشفه الحقيقة أو علمه بها .
والاستيقاظ . قد يقصد به ما آل إليه بعد علمه وتكشف الحقيقة
أمامه بعد ذلك .

وتكون هذه الجملة بمثابة الصاعقة فتطلب جوكاستا في
ثورتها من كريون أن يقتل الأعمى البصير تريزياس . وإن كان
كريون يأبى ذلك .

ويلق تريزياس البصير على الأحداث قائلا :

« ويح أوديب . . لطالما بقي مفتوح العينين وهو نائم فلما
استيقظ أغمض عينيه . »

ويسدل الستار

المشهد الثاني من الفصل الأول :

فى ضحى اليوم التالى يجلس أوديب والحزن فى عينيه مع تريزياس الذى يحاول أن يخفف من مصيبة أوديب الذى يستبشع فعلته ويتمنى الموت الا أنه يتراجع عنه عندما يتصور أنه سيقابل أباه لا يوس فى الدار الآخرة . ذلك الذى قتله وأجرم فى حقه .

(والصورة التى يرسمها بكثير ، هنا ، جميلة وجديدة ، فلم ينسبقة أحد فى تصوير موقف أوديب من لقاء أبيه . ذلك الذى يبين عن صراعه الداخلى مع نفسه) .

ويهدى أوديب لحل هذا الموقف الذى يضايقه كل المضايقة . انه الظلام الذى سيسود عالمه بعد أن يفق عينيه فيعيش ما تبقى من حياته لا يرى عاره . واذا مات فلن يرى وجه لا يوس ولا وجوه من يتغامزون عليه .

ويحذره تريزياس من تنفيذ ذلك الذى يفكر فيه .

(دافع أوديب هنا لفقء عينيه يختلف عن واقع أوديب فى الاسطورة أو فى مسرحية سوفوكليس) .

ويحاول أوديب أن ينفى مسئوليته عما حدث لأنه كان واقعا تحت تأثير لوكسياس الكاهن الذى دبر له كل شيء منذ أن كان جنينا فى بطن أمه . ولكن تريزياس يناقشه فى ذلك . فيزعم تريزياس أن ربه قد أعطى أوديب عقلا واردة .

(ويطول الحوار ويثقل القارئ باطالته وعدم اضافته الجديد .
فيبدو عقيما جافا) .

ويبحث أوديب عن حل للموقف الجديد الذى أصبح فيه
فيسأل تريزياس عن امكانية ستر الحقيقة على أن يعيش مع
جوكاست أمام الناس زوجين . وفى السر ولد وأمه فيرفض ذلك
تريزياس مخبرا اياه أنه ان فعل ذلك فلن يسكت عليه المعبد الذى
عزم مصادرة أمواله . ويفضل تريزياس اغضاب المعبد على اغضاب
الاله ، لتصبح الفضيحة كفارة لذنوب أوديب وأمه .

ويتساءل أوديب عن كيفية مواجهة جوكاست بالحقيقة
المروعة . فيخبره تريزياس بأهمية الاسراع بعملية كشف الحقيقة
كاملة أمامها .

ويقطع حديثهما ضوضاء ، انه صوت الشعب الآتى من خارج
القصر . فيرتاب الجميع طانين أن الشعب ثائر بعد أن حفره الكاهن
الأكبر ضد أوديب . ولكن سرعان ما تنكشف الحقيقة . لقد حضر
الشعب وشيوخه الى أوديب من أجل التوسل لارسال كريون
لمعبد دلف ليستخبره فى أمر ما ينزل بطيبة . وبعد أن نعلم برفض
أوديب سؤال المعبد نجده يوافق بناء على طلب تريزياس وكريون .
وبل يعلن ذلك بنفسه للشعب .

ويطلب أوديب من كريون أن يسرع للمعبد - ثم يصطحب
أوديب تريزياس ليخرجا .

وتدخل جوكاست الملكة ليخبرها كريون بموافقة أوديب على
استشارة المعبد أخيرا . ولكن جوكاست تعبر له عن خوفها الشديد
من وحى المعبد الذى سيعود به كريون وكذلك من بقاء تريزياس فى
قصرها . ذلك الكاهن الذى جعل زوجها ، لايطيق النظر الى وجهها .

ويخرج كريون ليحضر أوديب ويفاجيء جوكاست بأن
 بدعوها بأمة فتظن أنه يقصد ميروب ولكنه يعود ويكرر لفظة «أمي»
 فيود أوديب أن يكشف الحقيقة أمام جوكاست الا أنه كلما حاول
 ذلك عقد لسانه . فنجده يطرح كل ما بداخله في مناجاة
 أو « Monologue » يسترجع فيه حديث تريزياس له . ويستجمع
 قواه ويشجع نفسه على مواجهة جوكاست ومكاشفتها بالحقيقة المرة
 مهما كان الثمن . وما أن ينتهي أوديب من مناجاته حتى تدخل
 جوكاست بأولادها الذين كان أوديب قد طلب رؤيتهم .

ويعبّر أوديب عن شوقه الشديد لأولاده ويضمهم إليه
 ويقبلهم . ولكنهم يسألوه أن يرحل الكاهن تريزياس عنهم فهم
 يكرهونه كثيرا . وان كانت انتيجون الوحيدة بينهم التي تستنكر
 ذلك .

وبينما أولاد أوديب في حجرة يجتمعون في حنان نجد
 جوكاست تقترب منه لتميل عليه وتضع يدها وفمها عليه في حنان
 صائحة « أوديب » بينما هو يرد عليها « جوكاست » وقد مسح بيده
 على رأسها دون أن ينظر إليها . وينتهي المنظر الثاني من الفصل
 الاول بانضمام أوديب أمام عزمه وعدم قدرته على مواجهة جوكاست
 بل وانصياعه للواقع .

الفصل الثانى :

فى نفس المنظر السابق • ولكن عند مطلع الفجر تدور أحداث هذا الفصل حيث يقصد بالكثير بهذا التوقيت التأكيد على كون أوديب نائما ، وبعيدا عما يدور من أحداث تقف جوكاست مضطربة منتظرة تروزياس ، الذى يقبل بعد لحظات فيحييها وتحية •

ثم تطلب منه أن يصلح ما أفسده • فيؤكد لها أنه جاء ليصلح ما أفسده غيره لا ما أفسده هو • ويطول الحوار بينهما وتبين منه خلافهما الشديد •• فجوكاست حريصة على استرداد سعادتها بأى ثمن •• وتروزياس حريص على اطلاعها على الحقيقة بأى حال •

وعندما يعلما باستيقاظ النائم أوديب يكفا عن الحديث الذى كان بينهما • وينصرف تريزياس حيث يدخل أوديب ويسأل جوكاست عن سر استيقاظها مبكرا • فتخبره انها لا تنام وان أرقها سببه هجرانه لها وتجافيه عنها لغير ذنب جنته •

وترجع جوكاست سبب ذلك الى تريزياس الذى باع من أجله أوديب حبه وسعادته وتحدث المرأة فى جوكاست حديثا صريحا عن الرغبة الشديدة فى سرير زوجها الذى تحبه •

ويدعو أوديب الاله أن يحل العقدة من لسانه ليطلعها على الحقيقة الصعبة ويدعوها « أماء » فتنهاه عن ذلك • الا أنه يتشجع

ويصارحها بحقيقة كونه ابنها الذي لم يقتل على «الكثيرون» فتستنكر ذلك وترفضه رفضا للحقيقة المرة وتطلب منه أن يبقيا على أرض الواقع التي تجد نفسها مشدودة اليها . فيقول لها أوديب مستحيل أن تعيشي على وهم .

وتفكر جوكاست في كلام أوديب طائفة أنه يريد أن يتخلص منها من أجل حب أخرى أجمل . . وأصغر فتستنكر ذلك تماما وتذكره بلايوس الذي تزوجها بعد أن كبرت زوجته .

(ان باكثر هنا يستعرض بشكل مباشر قضايا فرعية . . يستعرض رأى المرأة فى الرجل . . هذا الرأى الذى قد يكون مجحفا الا أنه يبدو ملحا فى بعض الأحيان) .

وتبدأ جوكاست فى فقدان وعيها لتتداعى أفكارها من لا وعيها مباشرة مختلطة لديها ومتداخلة . فأوديب تبصره لا يوس بل وتصر على رأيها فيه ، ويرثى لها أوديب ويحاول افاقتها فى هدوء . . وعندما تغيق تخرج نائفة على ترزياس .

ويلقى ترزياس لمناساس عن سعادته لمواجهة أوديب للعاصفة العنيفة ويقول انه لم يعد يخاف عليه الآن من أى شىء يكون .

يعود أوديب ويعتذر لترزياس عما بدر من جوكاست . ويطلب منه أن يدعو لها . وبينما هم كذلك اذا بأولاد أوديب قادمون يطلبون من أبيهم أن يطرد ترزياس الذى يعتقدون أنه سبب مرض أمهم . فتنهاهم انتيجون عن ذلك . ويطلب أوديب منها أن تذهب لتسرى عن أمها ولا تبارحها بعد أن يباركها ويعبر عن حبه الشديد لها . . ويثنى عليها كثيرا .

ويدخل الحاجب ليعلم نبأ قدوم كريون ومعه الكاهن الأكبر . وما أن يسمع أوديب كلام الحاجب حتى يطلب أن يتعرف من

ترزياس على رأيه فيخبره ترزياس أنه قد علم من تابعه أن الكاهن الأكبر أتى لمساومة أوديب . ولأن أوديب سيرفض مساومته يطلب ترزياس منه أن يدعو ثلاثة من شيوخ المدينة ويخفيهم في المخدع ليستمعوا الى كلام الكاهن الأكبر ويشهدوا به أمام الشعب وقت أن يشتد الموقف ويحتاج شهادتهم ويطلب أوديب استحضار ثلاثة من شيوخ طيبة . ويكون له ذلك .

ويخبرنا باكثر على لسان أوديب بقدوم بوليب وميروب ليشتركا في الأحداث القادمة في المسرحية بعد أن أزال أوديب تخصصهما مع طيبة . ولكن أوديب يود لو تأخر قدوم كريون قليلا حتى يحضر بوليب وميروب . وماهم كذلك اذا بوجوه طيبة الثلاثة يحضرون فيطلبهم أوديب على ما يجب أن يفعلوه . ويحضر كريون ويسأله أوديب عما حمله المعبد فيجيب بأن الكاهن الأكبر قد رأى أن يحمله بنفسه اليك . ويتحدث لوكسياس فيقول لأوديب أنه من الخير ألا يسمع وحى أبوللون غيره . لكن أوديب يريد أن يستبقي كريون معه ، فيرفض لوكسياس وينصرف كريون الى حيث جوكاست . ويستمتع أوديب الى لوكسياس ، يستمتع الى أمور يعرفها من تلقاء نفسه أو هو قد عرفها منذ وقت قليل بواسطة ترزياس . أما في الاسطورة فنحن نجد غير ذلك . حيث يفاجأ أوديب بوحى المعبد الذي جاء مع كريون ولم يكن يعرفه أو يدركه من قبل .

ويعلن لوكسياس لأوديب ما هو آت من أجله . يطلب منه أن يعيد النذور كما كانت . ويعدل عن مصادرته لأموال المعبد . وأخيرا يسلم ترزياس ليحاكمه المعبد على خياناته . ويستدرجه أوديب قائلا ، وما جزائي اذا قبلت هذا العرض منك .

فيرد لوكسياس بأنه لو فعل ذلك لبقى في عرشه وظل سره بعيدا عن الشعب .

فيستعزّد أوديب قائلا : « واذا رفضت ؟ »

فيكون ردّ لوكسياس : « أذعنا الوحي للشعب فتار عليك
وأسقطك من عرشك .. »

ويرفض أوديب العرض بعد أن يكون قد تأكّد من سماع وجوه
طيبة الثلاثة لكل ما دار من حوار بينه وبين كبير الكهنة ليشهدوا
عليه .

ويعود لوكسياس فيسأل أوديب عما اذا كانت جوکاست
موافقة على فضيحتها أمام شعبها فيخبره أوديب بأن ذلك ليس من
شأنه في شيء .

وتحضر جوکاست فجأة لتمانع بين أوديب وبين ما اعتزم
فعله من أجل مصيرها ومصير أولادها . ولكن أوديب رافض
منطقها .. ولذلك فهو يحاول اقناعها بما هم فيه من وضع حرج
يستلزم تصرفا واحدا هو ما يراه .

فتحاول هي أن تستعطفه . فلا تجد منه استجابة .

ويستجمع أوديب شجاعته كلها ليطلب من لوكسياس أن
يذهب ويعلن ما يشاء في الشعب ويفعل لوكسياس ما عزم عليه .
ويخرج شيوخ طيبة الثلاثة من المخدع ليشهدوا بما سمعوا . ويقف
ترزياس يشجع أوديب ويسانده ويقوى من عزمه ويشحذ همته .
أن أوديب يستعد لأصعب امتحان . وكريون يقف مذهولا غير
مدرك لكنه ما يدور فيسأل ترزياس تارة وأوديب أخرى . ويتهمه
ترزياس بالخباء .

وبينما الأحداث ترتفع درجة حرارتها بسرعة . يطلع علينا
باكثر بنبأ مصرع جوکاست التي خنقت نفسها بحبل غليظ ومبرر
انتحارها هو خوفها الشديد من مواجهة شعبها بعد افتضاح أمرها .

انها لم تستبشع ما هي فيه ، لم تستبشع كونها أم وزوجة لرجل واحد كما فعلت جوكاست - سوفوكليس مثلاً فشنت نفسها حتى لا يعذبها ضميرها ولكنها هنا طلبت الموت هرباً من الواقع الذي سيصعب عليها مواجهته خوفاً من مواجهتها لشعبها وهي آثمة .

وأمام جثة جوكاست يلوم أوديب نفسه ويقول أنه سبب ذلك هو وترزياس . فيخبره ترزياس أن الاله سيغفر له .

وبينما هم كذلك يفيق باكثر جوكاست من سكرتها - في موقف ميلودرامي - لتوصي أوديب بأخوته وأولاده خيراً ، وتخبره بأنه ليس لهم في الدنيا غيره . ثم تعود فتوصي كريون أن يخلص لهم أيضاً . فيعدها بذلك . وتلفظ أنفاسها الأخيرة .

وأمام جلال الموقف يحاول أوديب أن يقتل نفسه بسيفه فيمنعه ترزياس وكريون عن ذلك ويذكراه بشعبه وواجبه نحوه .

لينتهي الفصل الثاني . أقصر فصول المسرحية . وليبدأ فصلها الثالث المبني من مشهدين الأول طويل والآخر قصير .

الفصل الثالث :

المشهد الأول :

تنقسم خشبة المسرح الى قسمين أو جانبين • فيجلس فى الجانب الأيمن ، لوكسياس الكاهن الأكبر ومن حوله الكهنة وشيوخ طيبة وأشرفها ، وفى الجانب الأيسر ، يجلس الملك أوديب مميزا بكرسيه الملكى ومن حوله ترزياس وكريون • وأمام أبواب القصر يجلس شعب طيبة •• الذى يبكى ملكته جوكاست •

ويلتمس رئيس شيوخ طيبة من ملكها أوديب أن ينحى مصابه جانبا ويبحث فيما قال به الوحي ليرفع عن طيبة ما تعانيه من عذاب • ان رئيس شيوخ طيبة يطلب من أوديب ، الآثم أن يخبره عن يقصده الوحي والذى أعلن أنه موجود فى قصر أوديب •• يا للمفارقة •• ان رئيس الشيوخ يطلب من أوديب أن يخبره بذلك الذى قتل أباه وتزوج أمه • وقتل لا يوس ملكهم السابق •

فيعلن أوديب ما اعتزم فعله لاصلاح حال شعب طيبة من مصادرة أموال المعبد وتوزيعها على الشعب فيثير ذلك لوكسياس كبير الكهنة ويحاول اثاره الشعب ضد أوديب وترزياس • ولكن ترزياس يحذرهم من مكر لوكسياس ويطلب منهم ألا ينقلبوا ضد ملكهم من جراء كلمات لوكسياس • بل ان عليهم أن يترثوا •

وبعد محاولات عديدة من جانب كل من لوكسياس وأوديب للابتعاد عن تجمل مسئولية النطق بحقيقة الآثم • نجد أوديب

لا يطبق انتظارا بل يطلب من الشعب أن يقتله لأنه الآثم فيقول :
(ص ١٣١ من المسرحية)

أوديب : « اقتلونى يا شعب طيبة .. أنا ذلكم الرجس الذى
تطلبون .. اقتلونى والقوا بجثتى للسباع الجائعة والطيور
الكاسرة ... »

هناك فى قمة كثيرون حيث كان ينبغى أن ألقى حتفى من
خمسة وثلاثين عاما ! .. »

ويحاول كريون الذى يجهل الحقيقة الدفاع عن أوديب الذى
لا يراه قط مخطئا . فيكذب لوكسياس حيث يتأكد كريون تماما
من مقتل طفل لايوس فى المهد . الا أن لوكسياس يخبر الجميع
بوجود « نيقوس » وهو اسم الخادم الذى حمل أوديب . انه مازال
حيا يرزق . فيطلب لوكسياس شهادته . فيشهد بأنه سلمه
لراعى كورنثة ويصعد راعى كورنثة أيضا الى مسرح الأحداث حيث
يؤكد كلام « نيقوس » وانه أسلم الصبى لبوليبي وميروب ملكا
كورنثة .

ومن خلال ذلك الحوار السريع القريب الى شكل المحاكمة ،
والذى يظهر فيه الاتهام تارة والدفاع تارة أخرى .. اتهام كريون
للوكسياس ودفاع لوكسياس عن نفسه ثم اتهام لوكسياس
لأوديب ودفاع ترزياس عن أوديب الى جانب دفاع كريون عنه .
من خلال ذلك الشكل اللاهث فى الحوار الذى نجح فيه باكتير ..
نجح فى أن يجعل كل الحبايا والأسرار والخفايا تتداعى وتتساقط
لينبلج الحق ويتضح ويظهر على السطح لقد تداعت كل مؤامرات
لوكسياس الحبيثة منذ ادعائه الوحي الكاذب للايوس وتحريضه على
قتل ولده .. ذلك التحريض الذى كان من نتيجته مقتل لايوس
نفسه ، وحتى تكرار وصفه لجمال جوكاست الذى لا يقاوم كي يوجه
أوديب اليها ولا يبعده عنها وعن طريقها . ومرورا بتواطئه مع

بوليب - وقت أن كان عدوا لطيبة - ومحاولته اشعال نار الفتنة من آن لآخر .

بعد أن تنكشف الحقيقة كاملة غير منقوصة أمام أعين الجميع وفي حضورهم وبعد أن يشرك باكثر كلا من بوليب وميروب في هذه المحاكمة الخطيرة . متخطيا بذلك حدود الاسطورة ومعالمها الواضحة الصريحة . . التي لم يحدث فيها قط أن زار بوليب وميروب طيبة على الاطلاق . ذلك التجاوز والتخطي لأحداث الاسطورة ومعالمها الذي لا أوافق عليه المؤلف وأستنكره لتغييره من الشكل العام للأسطورة اليونانية . ذلك الذي يعتبره باكثر تجديدا لخدمة غرض درامي هو ادانة بوليب نفسه للوكسياس وقطع أى خطوة للتراجع من جانبه . أو للكذب والتضليل لو لم يكن بوليب أو ميروب حاضرين .

بعد كل تلك الأحداث الطويلة التي شكلت المشهد الأول من الفصل الثالث نجد أوديب يحكم ، بناء على طلب الشعب ، على لوكسياس بالنفى فى «الكثيرون» وعدم مبارحته مدى الحياة . فينهار لوكسياس تماما بعد أن كان قد اخترع فكرة جديدة لتوريط اوديب أمام الشعب هى فكرة عودة ظهور أبا الهول مرة ثانية ، تلك الدمية التي يحركها أحد الكهنة بموجب تعليمات لوكسياس . . ولكن أبا الهول يساهم فى كشف مؤامرات لوكسياس اذ لا ينفذ الكاهن الذي بداخله ما طلب منه . بل يخرج ليعلن فى الحضور حقيقة الدور الذي أسنده اليه لوكسياس منذ البداية فيؤكد بذلك كله جرم لوكسياس ويؤدى فى النهاية الى الحكم الذي استصدره أوديب ضده بالنفى مدى الحياة .

ويطلب أوديب من شعبه أن يعفيه من الحكم حتى يتفرغ بقية حياته للندم وحده والاستغفار .

الا أن الشعب يرجوه أن يبقى قائلا :

« حنانيك يا أوديبي ! .. لا تتركنا يا أوديبي ! ليس لنا
غيرك » (١) .

ويوافق أوديبي رغبة شعبه ، ويعلن تولية ترزياس رئاسة
المعبد خلفا للوكسياس - وتوزع أملاك المعبد على جميع أفراد الشعب
بالعدل والسوية .

وبعد ذلك كله نجد بوليبي يقف ليعلن خبرا غريبا هو تنازله
عن عرش كورنثه لأوديبي بعد موافقة ممثلي شعبه . ويتعاقب
الملكان - لينتهي المشهد الأول من الفصل الثالث .

(١) على أحمد باكثير - مسرحية مأساء أوديبي ص ١٧٢ .

المشهد الثاني :

جانب من دهليز القصر الأمامي ، يظهر البابان فيه المؤديان
الى داخل القصر ، ويظهر أيضا على المسرح جانب من الدرج المرمى
الهابط الى خارج القصر .

وتحديد باكثير للزمن الذي تدور فيه الأحداث بأنه الهزيع
الأخير من الليل فيه الكثير من الرمزية ، وحالفه التوفيق فيه ،
فالمأساة أوشكت على نهايتها أو أشرفت عليها . والرحيل اقترب . .
وأنسب وقت لذلك هو عين الوقت الذي نص عليه باكثير .

يقف أوديب باديا على وجهه الحزن . . مخاطبا طيبة . . معبرا
عن حزنه لمصيره الذي آل اليه . وسعاده بمصير طيبة الذي وصلت
اليه .

يرثى أوديب حاله . ويخاطب قصره . . وشعبه النائم . .
وأولاده الصغار . ان أوديب يجسد بالتدرج ما قد عزم عليه من
الرحيل . بدون أن يتفوه بكلمة واحدة صريحة أو مباشرة عن ذلك
الرحيل .

وهو عندما يودع « انتيجون » تظهر له وتقول :
« كلا يا أبت . . أنا ذاهبة معك حيثما تذهب ! » (١)

(١) على أحمد باكثير - مأساة أوديب - ص ١٧٧ .

فيندهش أوديب من كلامها ويحتضنها ويعلم منها أنها ما نامت طيلة ليلتها ويطلب منها أن تبقى ، لا . . . انها تأبى ذلك وترفض بل تطلب منه أن تسبقه لتهبط الدرج وتنتظره فى الخارج .

ويظهر ترزياس محاولا أن يثنى أوديب عما عزم عليه . لكن أوديب لا يوافق بل يخبره أنه ما اصطحب سيفه معه الا ليقتل به كل من تحدثه نفسه أن يثنيه عن سبيله .

يودعه أوديب بقبلة على رأسه . ويطلب منه أن يوصى كريون خيرا! بأولاده ويهبط الدرج وهو يترنم بكلمات تعبر أصدق تعبير ، — من طريقة اختيارها وترتيبها — عن ذهول أوديب وحالته النفسية السيئة .

الا أنه بعد أن يبتعد ينادى ترزياس قائلا :
 « تذكر أن مع اليأس لأملا . . وأن مع الماضي لمستقبلا . »
 أنا الماضي يا ترزياس فلأمضى ليحىء المستقبل !
 وأما اليأس يا ترزياس . . فلأمضى ليحىء الأمل » (١) .

ولى ملاحظة على نهاية مسرحية باكثير. لفتت نظرى ، منذ المطالعة الأولى للمسرحية ، فرحيل أوديب لم يبرره باكثير دراميا . لقد رأيناه فى نهاية المشهد الأول من الفصل الثالث سعيدا بعد أن اكتشف حقيقة المؤامرة التى نصبت شباكها حوله والتى كانت صنيعة كاهن ماكر . وهو — أقصد أوديب — سعيد أيضا بثقة بوليبي فيه وتنازله له عن تاج كورنثة عن طيب خاطر ليصبح ملكا لطيبة وكورنثة .

أظن أن المشهد الأول من الفصل الأخير انتهى باوديب سعيدا نفسيا ومرتاحا . ولكننا نجده فى المشهد الثانى من الفصل الأخير

(١) على أحمد باكثير — مأساة أوديب — ص ١٨٥ .

مغايراً له في المشهد الأول تمام المغايرة • فهو منذ بداية المشهد حزين عابس قاده هذا الحزن والعبوس الى ترك المدينة - في حالة نفسية سيئة - ونفى نفسه متساوياً في ذلك مع لوكسياس المخادع الذي نفاه بنفسه البارحة •

ان، المشهد الأول لم يؤد الى المشهد الثاني بأى حال من الأحوال للأسباب التي أوضحتها من قبل • ولذلك جاءت النهاية منفصلة عن المسرحية وغير نابعة منها • وانما هي مجرد رغبة من المؤلف في عدم مخالفة المؤلف في معالجة أسطورة أوديب ويتضح ذلك من جعله أوديب يصطحب أنتيجون معه • فما المبرر لذلك عنده ؟

لقد فعل أوديب في المسرحيات الأخرى ذلك وسبقه في ذلك أوديب الأسطورة حتى تهديه أنتيجون للطريق وهو الأعلى بفقء عينيه • أما أوديب باكثير فلم يستطع أن يفقأ عينيه لأن الأحداث التي مر بها لم تؤد الى ذلك الفعل • • ومن هنا فلا مبرر - على الإطلاق - لاصطحاب أنتيجون •

الى جانب ذلك يتعارض الحوار الذي ينطق به أوديب أو يتخالف مع الفعل الذي نراه أمامنا فهو اذ يقول :

« أنا الماضي يا ترؤياس فلأمضي ليحيى المستقبل ! » (١) •
فهذا القول يتعارض تماماً مع اصطحابه « لانتيجون » - التي هي جزء من المستقبل - معه في منفاه •

أخلص من كل ما سبق الى أن نهاية مسرحية باكثير غير منطقية وغير مرتبطة بأحداث مسرحيته أو نابعة منها. وانما هي نهاية جاهزة أفسدت تأثير المسرحية وتفسيرها ، وأضعفت من بنائها •

(١) على أحمد باكثير - مأساة أوديب - ص ١٨٥ •

ورغم أنى لا أحب اقتراح نهاية للكاتب • الا أننى أرى أن المسرحية كان بإمكانها أن تنتهى نهاية أفضل لو حدث ذلك بعد نهاية المشهد الأول من الفصل الثالث مباشرة •

★★★

ومما سبق يتضح لنا أن الصراع فى المسرحية يتجسد أساسا بين قوتين هما قوة الشر متمثلة فى لوكسياس الكاهن الأكبر الذى دبر كل شيء • وبين أوديب الذى يمثل قوة الخير والذى وقع فى شباك لوكسياس •

وبالمسرحية صراعات أخرى ثانوية بين أوديب وجوكاست ••
 بن من يهتم بالحقيقة وهى الأبقى ، ومن تهتم بالواقع وتحرص على أن تعيش فيه محاطة بهالات من الأكاذيب والأسرار التى تبذل قصارى جهدها لتجعلها فى منطقة الظل • فهى تسترضى كبير الكهنة بالمال •• حتى تنقذ خزينة الدولة • وهى تؤثر سعادتها على مواجهة الحقيقة • وعندما تجبر على مواجهة الحقيقة فهى تفضل الهروب من كل ذلك بالانتحار شنقا • ان رائحة المرأة فى جوكاست تفوح منها كلما حدثت أوديب أمامنا أو تناجت مع نفسها فى غيابها •

وباكتير يوضح من خلال شخصية أوديب رأيه - رأى المؤلف - فى مسئولية الانسان • وفى قضائه وقدره • فأوديب كان حرا فى اختياره لكل تصرفاته على الرغم من تدبير الكاهن لوكسياس للمؤامرة •

وشخصية تزياس هى شخصية الضمير أو الحق مجسدة على خشبة المسرح تهدى أوديب وتدفعه نحو الحقيقة وتنتشله من الواقع • وهو يخالف كل المخالفة تزياس الحكيم الذى دبر لأوديب ما دبره لوكسياس له فى مسرحيتنا •

أما كريون : فهو شخصية خيرة في مجملها . جاهلة في بعض الأحيان لكنه ما يدور من حولها . حتى يتهمه ترزياس بأنه دمية جميلة . وهو مندفع وهذا ما يظهر في مواضع كثيرة من المسرحية أهمها موقف هجومه على ملك كورنثة بدون أن يعرف الحقيقة . ودفاعه عن أوديب لمجرد أنه أوديب زوج جوكاست . انه يرفض الحقيقة ولكن ليس على طريقة جوكاست وانما على طريقته الخاصة ، وهو يعود ليقبلها بعد أن يلم بكل أبعادها وبخطئه أساسا .

وهو عموما ذو صفات وملامح جديدة تختلف عن ملامح وصفات كريون سوفوكليس أو كريون جيد - والحكيم وكوكتو .



وعن انتيجون واسسمين واتيوكليس ويولونيس أقول أن باكثير قد تأثر في اظهارهم على خشبة المسرح بأندرية جيد في ذلك « فجيد » هو الذي أظهرهم على خشبة المسرح مقسما المجال أمامهم للحركة والحوار والمشاركة في الأحداث مشاركة فعالة مثمرة .

ولكن على أحمد باكثير حرص على اظهار أولاد أوديب الأربعة على خشبة المسرح لا شيء الا ليعبروا ، وبطريقة فجأة ، عن خوفهم من ترزياس وكراهيتهم له ، ورغم هذه الفجاجة الا أنني أفضل ذلك على أن يقوم أوديب أو أية شخصية أخرى بالآخبار المباشر عن تلك الكراهية لترزياس .

أما الدور الوحيد الفعال فهو دور انتيجون . فقد أكد باكثير من خلالها حب أوديب لها وتفضيلها على غيرها من اخوتها . كما أكد ظهورها حبها الشديد له وتعلقها به . . . وان كانت انتيجون الحكيم قد فاقتها تأثيرا وفاعلية .

دور الجوقة :

تمثل الجوقة شعب طيبة • الذى تعتمد باكثر اظهارة فى صورة مفرطة فى السلبية والضعف •

وقد أوضح باكثر ذلك بما وضعه على لسان الجوقة من حوار ما هو الا تأييد وترديد عقيم لكلام من يسبقها الذى غالبا ما يطلب منها ترديد ما يريد هو لا ما يريده الشعب أو تريده الجوقة •

ولعل باكثر كان يقصد بذلك ان الشعوب دائما لا كلمة لها ، وان هى الا أبواق تردد أفكار وخواطر وتعليمات من فى السلطة •

ومن المسرحية اخترت تلك الأمثلة التى تؤيدنى فى رأى •

- ص ٤٨ الجوقة : « حنانيك يا أوديب •• حنانيك يا أوديب ! ••

- ص ٤٩ الجوقة : « عشت يا أوديب •• حيتك الآلهة يا أوديب ••

دامت أيامك يا أوديب •• » •

- ص ١٣٠ لوكسياس : « قولوا له : يا أيها الرجس • ليس هذا من شأنك » •

الجوقة : « أيها الرجس • ليس هذا من شأنك »

- ص ١٣٣ الجوقة : « من •• ؟ من ؟ •

الجوقة : « لا •• لا •• لا •• ! »

الجوقة : « نعم •• نعم •• »

ترزياس : « فالتمسوا منه ألا يقاطعنى فى حديثى حتى أكتشف لكم الحقيقة كاملة »

الجوقة : « لا تقاطعه يالوكسياس •• دعه يتم حديثه ! » •

- ص ١٣٧ ترزياس : « ان الشعب يا بوليب يريد أن يسمع شهادتك فيما يتصل بطفل لا يوس »

الجوقة : «أجل يا بوليب الكريم .. نريد أن نسمع شهادتك ...»
هذا ، وقد اختزل باكثر دور الجوقة عنده اختزالا كبيرا ولم
يخصها بالأحداث الهامة الجليلة ، بل اكتفى بما أجراه على لسانها
من جبل قصيرة هزيلة متفرقة فى أرجاء المسرحية .

الطاعون :

لم يستطع باكثر الابتعاد عن تصوير جو أزمة طيبة . فذلك
عنصر أساسى تقوم عليه المسرحية ، أو هى النقطة التى منها
سينطلق :

ولذلك فقد حرص باكثر على الابقاء على التغيير .. فأبقى على
عنصر الطاعون أو الوباء ، الذى صورته الاسطورة ومسرحية
سوفوكليس وما تلتها من معالجات للاسطورة ولكنه جعل الوباء
مجاعة .

اختلف باكثر بعد ذلك فى تفسيره لهذه المجاعة : فلم يجعلها
ثانى من السماء ، وهو الحريص على الاقتراب بمسرحيته من عقيدته
ودينه ، أقصد من الدين الإسلامى والفلسفة الإسلامية ، كما حاول
الحكيم ذلك ، ففسر سبب الكارثة التى تعانى منها « طيبة » على
أنها ناتجة من خواء خزانة الدولة من جراء انفاق جوكاسب
لمحتوياتها على المعبد ، وترضية كبير كهنته حتى يصمت وينسد فوه
عن الكلام فى شأنها ، وشأن زوجها .. ذلك هو المبرر أو المسبب
الحقيقى لما يعانى منه الشعب من ألم .. وفقر .. وجوع .. وبابتعاد
باكثر ، بذلك ، عن جو الاسطورة والذى لا أوافق عليه ، حيث أنه
يعتبر انتهاكا لحرمة الاسطورة وتغييرا من معالمها الأساسية التى
لا تقوم الا عليها ، أعود فأقول انه بابتعاده عن هذا الجو الاسطورى
فهو يقترب من جو آخر هو جو الواقع . ويحمل بذلك مسرحيته
معانى ورموزا لذلك الواقع المعاش .. فهو يحاول أن يقول من خلال

المسرحية أن هناك طبقة أو فئة ، قد لا يقصد بها الحاكم ذاته ، تحتكر أموال الشعب وتسبب ما يمر به من مجاعات وأزمات اقتصادية ، وقد تساعد بعض عناصر حاكمة هذه الطبقة المستترة خلف الدين ، وتترضاها بالمال والعطاء حتى تسكت أو تصمت عن أخطاء ونقاط ضعف تلك الطبقة التي تحكم .. وتأم .. وتنتهى . هكذا كان الرمز تحيطه غلالة شفاقة هي الأحداث التي يديرها باكتير فى مسرحيته .

النبوءة :

لما قضى باكتير تماما على النبوءة التي كانت عمودا فقريا للاسطورة وللأعمال المسرحية التي عاجلت الاسطورة ، وذلك بجعله « لوكسياس » الكاهن الأكبر مسئولاً عن تدبير كل الأخطاء التي ارتكبها أوديب تدبيرا دقيقا محكم الصنع . فهو بذلك قد ابتعد أيضا عن ضرورة الحاق العقاب بأوديب لأنه أثبت من خلال أحداث المسرحية ، أن أوديب كان ضحية لوجي كاذب مدبر من قبل كاهن لخدمة مصلحته الشخصية ، ولم يكن وحيا الهيا مطلقا .

وعلى ذلك ، فإن أوديب عند باكتير لا يفقا عينيه .. فلا داعي أو مبرر لذلك لديه . ولكنه يفعل كما فعل عند « اندريه جيد » و « توفيق الحكيم » و « سوفوكليس » وغيرهم .. أقصد أنه يصمم على أن ينفى نفسه . وهو عندما يفعل ذلك ، فى مسرحية على أحمد باكتير فهو لا يقنعا كل الاقناع الكافى بضرورة ذلك الفعل . وهو عندما يصطحب « انتيجون » معه ، لا يحسن ذلك ، فمن ينفى نفسه لاحساسه بخطئه ، ورغبته فى التكفير عن ذنبه والندم ، لماذا يصطحب معه من لا ذنب له ، ولا جرم أو خطأ . أضف الى ذلك المبرر الحقيقى لاصطحاب انتيجون فى أى من المعالجات السابقة .. ذلك المبرر الذى هو انارة ظلمة عيني أوديب من خلال عيني انتيجون - والذى لم يكن فى مسرحيتنا ، حيث أن أوديب ظل للنهية مفتوح العينين .

كلمة اخيرة :

وقبل أن أترك مسرحية « مأساة أوديب » لعل أحمد باكثير أحب أن أسجل ما لاحظته في هذه المسرحية من تأثير الكاتب تأثرا بالغا بالقرآن الكريم فهو يبدأ مسرحيته بعبارة منه • وتتناثر في حوارهِ ألفاظ مستوحاة من الكتاب تعكس اهتمام باكثير وغلبة دراسته الدينية على أعماله •

- وتلك بعض ألفاظ أستخرجها من النص مؤيدا ما أزعم :
- التحيات الطيبات ٠٠ وعليك مثلها ص ١٩
- ان الاله ثالثنا وهو يسمع ما نقول ص ٢٠
- الأرض تميد بى ص ٣٨
- ان الاله لا يظلم أحدا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ص ٣٩
- ان ربك وحده هو الذى يتولى حسابك ، فهو وحده ، المطلع على سرائر الناس ص ٤٣
- ان باب التوبة أمامك مفتوح ص ٤٣
- بعد ما جاءته البيئات ص ٦١
- لا جناح على ص ١٢٠
- أحياء يرزقون ص ١٤٤

وان كان باكثير قد وفق في الاستيحاء من القرآن ، فقد خافه التوفيق بعد ذلك فى كثير من الألفاظ التى لا يمكننى وصفها بأقل من كونها ألفاظا معجمية لا تصلح لحشبة المسرح ولا تلائم طبيعته • وأسوق بعضها لأدلل على رأىى - على سبيل المثال :

- مندوحة ص ٤١
- حنائيك ص ٤٣
- جريرة ص ٤٣ أيضا
- فحيح وكشيش ص ٤٦

ص ٤٦ أيضا	- دما دمها
ص ٦١	- لا مناص
ص ٦٤	- اکتحلت عینی
ص ١٤٣	- الأرضون
ص ١٥٠	- بلبالی
ص ١٦١	- فاغرا فاه
ص ١٦٣	- یؤوده الکبر
ص ١٧٥	- ما بقى من عقابيله
ص ١٧٧	- کلا عليك
ص ١٧٨	- کمداء عليك
ص ١٨٠	- أفترش والتحف

الباب الثالث

« كوميديا أوديب » أو « انت الي قتلت الوحش »

عام ١٩٧٠

لعلى سالم

« ظل الانسان لآلاف السنين .. وسيظل الى الابد .. هو الحل الوحيد
لكل الالغاز .. سيظل الانسان هو النعمة الصحيحة الواضحة بين
كل الالغائز الرديئة على مر العصور ... »

« تريزياس »

في

« انت الي قتلت الوحش »

وقفه امام على سالم مؤلف المسرحية :

على سالم من أنضج كتاب الكوميديا في مصر . فمسرحياته ليست قهقهة عالية وكفى . وانما هي اطار مودع فيه على سالم نقده للمجتمع . . وسخريته . . وفلسفته ان صح التعبير . .

ولا شك أن على سالم يكتب للمسرح من خلال رؤية فنية جديدة وجادة في نفس الوقت .

- وقد قدم باكورة أعماله التي تحمل عنوان : ولا العفاريات الزرق - في عام ١٩٦٥

- ثم قدم بعد ذلك مسرحية « الناس الي في السما الثامنة » في عام ١٩٦٥ أيضا

- و « الراجل الي ضحك ع الملايكة » عام ١٩٦٦

- ومسرحيتي « بير القمح » و أغنية على المر » عام ١٩٦٨

- (البوفيه) في عام ١٩٦٨ أيضا .

- حدث في عزبة الورد : عام ١٩٦٩

- عفاريات مصر الجديدة : عام ١٩٦٩ أيضا

- كوميديا أوديب : أو انت الي قتلت الوحش : عام ١٩٧٠

- الملوك يدخلون القرية : عام ١٩٧١

- وأخيرا : عملية نوح

ويتضح في أعمال على سالم استفادته من عمله بمسرح العرائس حيث استفاد من التكنولوجيا اللاهث . وأهمية الكلمة الى جانب الحركة واللون . وتقطيع الفصل الى مجموعة متتالية من المشاهد المسرحية السريعة التي تعطي في مجموعها الاثر العام الناتج عن خيط طويل يربطها جميعا . .

الباب الثالث

انت الى قتلت الوحش لعلى سالم

دفاع عن المسرحية :

« كوميديا أوديب » أو « انت الى قتلت الوحش » هي المسرحية المصرية الثالثة التي لا أستطيع أن أقول انها تعالج أسطورة أوديب الاغريقية . وان كنت أفضل أن أقول انها مسرحية مصرية معاصرة ذات إطار أسطوري هو أسطورة أوديب .

وقد كتبت المسرحية فى عام ١٩٦٩ ، وأخرجت لمسرح الحكيم عام ١٩٧٠ (١) وللتاريخ عندى أهمية كبيرة حيث يؤكد كل ما خرجت به من تساؤلات حول المسرحية بعد أن انتهت من قراءتها .

فعام ١٩٦٩ الذى انتهى فيه على سالم من تسجيل أحداث مسرحيته على الورق يلى نكسة ٦٧ بسنتين . ولذلك جاءت المسرحية ، ليس باعتبارها محاكاة أو معالجة دقيقة لأسطورة يونانية أو مصرية ، ولكنها فى الاعتبار الأول والأهم كانت وعاء أو قالباً أو إطاراً . يحتوى ، أو تصب فيه ، أو يحدد من الخارج معاناة مؤلفنا من جراء هزيمة سحقنا .. وهزتنا .. بل أقول أنها أماتت فينا كل

(١) كانت من اخراج الاستاذ جلال الشرفاوى .

شيء ٠٠ وقتئذ ٠٠ بعد أن سحبت بسرعة ٠٠ في ست ساعات أو أقل ، صلابة الأرض من تحت أقدامنا ٠٠
لا أريد أن أتحدث طويلا حول نتائج نكسة ١٩٦٧ ٠ والجو النفسي الذي ساد ، وأخلاقيات ما بعد النكسة حتى ولو كنت شابا وتدفعني فورة الشباب وحماسه الى الاسترسال ٠ فيجب أن أنحي ذاتي ، الآن ، جانبا لأنني بصدد تناول النص المسرحي ٠

أزعم أن هدف علي سالم الأول من كتابته لمسرحيته « انت الى قتلت الوحش » كان طرح كل ما بداخله وبداخلنا من معاناة ناتجة عن هزيمة يونيو ٦٧ واعتبر أن علي سالم نجح نجاحا بعيد المدى اذ طرح كل ذلك بأسلوب غير مباشر حين لجأ الى صب مضمونه أو فكره في قالب اسطوري أو حدهه باطار أسطورة أوديب القديمة ٠ وان كان لم يستطع رغم كل المحاولات المبذولة من جانبه لعدم الوقوع في الخطابية أو المباشرة ٠٠ أقول لم يستطع علي سالم أن يبتعد ابتعادا كاملا حيث أنه ابتنى مسرحيته أساسا بناء تعليميا ٠٠ فنجده يعتلى خشبة المسرح في أحيان كثيرة مرتديا ملابس ترزياس الحكيم تارة وأوديب الملك تارة أخرى ليكسر الايهام الدرامي Dramatic Illusion ويخاطب جمهوره في لغة عربية فصحي تختلف عن اللغة التي أشاعها في بقية أنحاء مسرحيته والتي خصصها للتشخيص الخالص ٠ يخاطب جمهور المسرح الذي تقدم له المسرحية كابن لقرننا العشرين طحنته الهزيمة كما طحنتهم ٠

وإذا كنت قد وافقت علي سالم على مسرحيته التي كنا بحاجة ماسة اليها أو كان مسرحنا المصري يبحث عنها بدأب شديد ٠ وافقته على أن يقدم أو يطرح ما بداخله في مسرحية ترتدى أي ثوب كان ٠ فاني أعرف سلفا أنني قد خالفت رأي الدكتور ابراهيم حمادة الذي نشره في مقال له بجريدة « المساء » (١) وقت

(١) الدكتور ابراهيم حمادة ٠ كوميديا أوديب فانتازية هادفة ٠ جريدة

المساء - ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٠ ٠

ان كانت تعرض المسرحية على خشبة مسرح الحكيم وقد خالفت الدكتور ابراهيم حمادة وذلك لموافقتى على حرية تصرف على سالم في مادة الاسطورة . ولكننى لا اوافق على سالم على طول الخط . ففى مقدمته التى سبقت النص المطبوع يحاول على سالم أن يناقش أشياء مرفوضة من أساسها مثل :

- ايمانه بأن أحداث اسطورة اوديب ليست الا الأحداث الحقيقية التاريخية لاختاتون .

- وان طيبة أو «ثيبة» التى تدور فيها أحداث الاسطورة ومسرحية سوفوكليس ليست هى طيبة اقليم « بيوتيا » فى اليونان ، وانما هى « طيبة الاقصر » أو « طيبة صعيد مصر » المطلة على نهر النيل .

- وان أبا الهول أو المغنية القاسية أو الكلبة التى تنشد أشعارا ليست الا « النداهة » المصرية .

- وان هيرودت المؤرخ هو الذى أوحى لسوفوكليس بمادة مسرحيته .

تلك النتائج الحاطثة التى توصل اليها على سالم فى مقدمته التى لا أرى فيها فقط سوى ذكاء المؤلف فى اللف والدوران . (كلمتان عربيتان) - للبرهنة على صحة تفسيره لهذا الاطار الجديد . . الغريب الذى حدد مادة مسرحيته من الخارج . فضلا عن حماسه العاطفى لقوميته المصرية .

عرض للمسرحية وتحليلها

الفصل الأول :

ينقل على سائر أحداث مسرحيته من طيبة اقليم « بيوتيا »
اليونان الى طيبة مصر القديمة أو الاقصر . حيث نرى على خشبة
المسرح أمامنا أسوارها العالية وقد اعتلاها الأهالي أو تسلقوها
ليعطونا الأحاسيس بمراقبتهم لشيء ما خارج السور .

وعلى يسار المسرح جزء من القصر الفرعوني حيث الشرفة التي
ستطل منها الملكة ، كما يظهر في هذا الجانب من المسرح معبد طيبة
بصفي الكباشن القابعين فيه . هذا وتحيط بالمكان مدرجات حجرية
دائرية . وفي منتصف المسرح تتجه أنظارنا حيث توجد منصة
حجرية مستديرة تحتضنها أربعة مقاعد لجلوس أعضاء مجلس مدينة
طيبة .

على يمين مقدمة خشبة المسرح يجلس أوديب وكامي . وهما
شخصان من عامة الشعب جلسا يلعبان الشطرنج .

ويقرب ترزياس من مقدمة المسرح ويثبت ليخاطب جمهور
القرن العشرين ، كما خاطبهم كوكتو من خلال صوت مسجل ،
أو يخاطبهم ترزياس كما تعودنا أن يخاطب الجمهور في برولوج في
كوميديا اليونان القديمة حيث كان يتقدم أحد الممثلين العرض
ليتحدث مع الجمهور في أمر متعلق بالمسرحية التي ستعرض أو في
أمور خارجة عنها .

يهتك ترزياس عرض الايهام الدرامي « Dramatic Illusion » حين يتحدث مع جمهور المسرح عن طيبة عروس النيل . الحزينة اليوم بعد فرح . . الفقيرة بعد غنى و ثراء . كل ذلك حل بعد ما حل أبو الهول على الطريق الوحيد المفتوح الى بلاد الشمال حيث منع التجارة من المرور بعد ما قتل من المسافرين من يستعصى عداهم على مدى شهور ثلاثة ماضية . وينهى ترزياس حديثه مع جمهور المسرح أو قارئ النص بخبر وهو أن أستاذ علم الدراسات العقلية المبدعة وجراح الجمجمة الملكية « المدعو بتاح » قد ذهب أخيرا للتصدي لأبى الهول ولم يعد .

ويسأل أوديب ترزياس عن قيمة الجائزة التى سيحصل عليها الأستاذ « بتاح » من مجلس مدينة طيبة ان هو حل اللغز وقضى على الوحش . . فيخبره ترزياس انها خمسون ألفا من جنيهاط طيبة الذهبية .

ويخرج ترزياس من المسرح ، لتطل جوكاست من الشرفة ، وتسال كريون (رئيس الحرس فى طيبة) عما اذا كان قد وصل « بتاح » الى الوحش أم لا ؟ . . فيخبرها انه مازال فى الطريق . . ومنذ تلك اللحظة يبدأ المؤلف فى خلق جو من التشويق Suspense حيث يعلق أظاسنا مع جمل حوار القصة السريعة التى تنطقها الشخصيات وهى تصف ما تراه من مباراة خطيرة بين وحش وانسان .

وتخيب آمالهم . . ويضعوا أيديهم فوق عيونهم . . وعلى آذانهم حتى لا يروا أستاذ الجامعة تقطع أوصاله . . أو يسمعوا أستاذ الجامعة حيث تمضغ عظامه .

ووسط خيبة الامل تطالعنا سخرية أوديب من الحدث حيث لا يرفع عينه من فوق رقعة الشطرنج . بل يكتفى بأن يقول :

– « كان ممكن أن يحل الفوزرة .. لو هو رايح علشان يحل الفوزرة » مش ممكن الواحد يفكر فى الجائزة وفى اللغز فى الوقت نفسه » (١) .

وينعقد مجلس مدينة طيبة لبحث الكارثة . فيقف « حورمحب » – رئيس كهنة آمون ومدير جامعة طيبة – ليعلن أنه يرى أنها مؤامرة للقضاء على ثروة طيبة العلمية . ولذلك فهو يقرر عدم توجه أى أستاذ جامعى ناحية اللغز . وهو بهذا لا يضع حلا للمشكلة بل يتركها ويبتعد عنها أو يتنصل من المسئولية بحجة الحفاظ على الثروة العلمية للمدينة . هو لا يوظف علم الجامعة وعقلها توظيفاً علمياً لمواجهة ذكاء أبى الهول وقوته وبالتالي القضاء عليه وعلى خطر طيبة .

وحجته فى ذلك أيضاً أنه لا يستطيع أن يهبط بمستوى علمائه وأساتذته جامعتهم ليواجهوا وحشاً يلقي لغزاً . انه يريد هم أن يقابلوا وحشاً أخرى بشرط أن تكون أكثر جدية وتقدم دكتوراهات وماجستيرات على حد قوله .

وعندما يختلف « أولح » رئيس الغرفة التجارية مع « حورمحب » و « أولح » رئيس الشرطة فنحن نجد جو كاست تتدخل لفض الخلاف والقاء بعض الضوء على شخصية « أولح » رئيس الشرطة التى تذكر أنه لم يعثر حتى اليوم على قاتل زوجها الملك . وبذلك يحاول على سالم أن يقترب من الخطوط العريضة جداً للأسطورة .. حيث أن طيبة تعاني من خطر وحش هو أبو الهول . وملكها قد قتل وزوجته مازالت أياً . وقاتل الملك غير معروف . الا أن قاتل الملك هنا ليس أوديب ابنه . فاوديب لم يكن قط فى

(١) على سالم – كوميدى أوديب – أو انت الى قتلت الوحش . دار الهلال – القاهرة – ص ٣٣ .

مسرحية على سالم . ولدا للايوس أو الملك طيبة أيا كان اسمه ، وهو لم يضطر الى قتله أو لم يقتله بموجب وحى أو غيره . كل تلك أشياء ضرب بها على سالم عرض الحائط . حيث وجد أنها ستبعده تماما عن هدفه وغايته الأساسية من كتابه أنت الى قتلت الرحش .

نعود لأحداث المسرحية :

ان « أوالح » لم يعثر على قاتل الملك لاهمال أو تقصير في عمله . وانما لم يعثر عليه لأنه لا يريد أن يعثر عليه . ولاتفاق سابق بينه وبين الملكة . ها هو ذا يذكرها به .

ويطلب أوديب أو يقترح أن يذهب رئيس الشرطة « أوالح » لحل اللغز . فتوافقه جموع طيبة وان كان هو الآخر « كحورمحب » يتنصل من المسئولية ، بل يكاد يصعق عند سماعه اقتراح أوديب . ويتخلص من « الورطة » بأن يصف نفسه بالغباء فى مثل هذه المواقف الجادة .

ويسأله أوديب عن ذكائه الذى يصل من خلاله الى القبض على المجرمين فى طيبة .

وأمام الخطر يبوح « أوالح » بالسر . انه يعمل فى دولة بوليسية . . يقبض على من كان يطلب الملك منه أن يقبض عليه دون أن يعرف ان كان مخطئا أم لا ؟ وغالبا ما كان ذلك المجرم مظلوما . انها دولة قهرية لا تعرف عقلا أو تفكيرا هادئا أو منطقا ولعل على سالم يشير بذلك وبحاسته المرفهة لما كان يحدث فى مصر الحديثة من قبل مراكز القوى التى كانت تزور الناس فى الفجر وتذهب بهم الى ما وراء الشمس حيث لا يعرف أحد عنهم شيئا أو هم لا يعرفون عما اقترفوه من ذنوب أو جرائم تستحق ذلك العقاب

شيئا . ذلك الذى سجله على سالم ، بشجاعة نادرة ، فى هذا العمل
الفنى وقت أن كانت تحكم هذه المراكز المنيعة مصر ، دون خوف
أو جبن من جانبه ككاتب . سابقا بذلك كل المحاولات التى تستغلها
السينما المصرية الآن للرواج التجارى على حساب ما كان يحدث فى
تلك الفترة .

عودة للمسرحية :

ووسط هذه المناقشات العقيمة . . يظهر ترزياس ليفيق طيبة
من ضحكها ومرحها ونكاتاتها التى تقتل احساس أهل طيبة
بالمسئولية .

وأكاد أسمع صوت على سالم نفسه . ناطقا بحوار ترزياس
لابسا ملايسه . . مخاطبا شعب مصر لا شعب طيبة . . شعب مصر
الذى واجه النكسة ببكاء مر أو ضحك وقهقهة عقيمة بليدة الحس
شبهها على سالم بالغيلان التى كادت تاكل الاحساس بالمسئولية .
ويطلب أوديب من ترزياس أن يطلعه على الحل الذى يراه .

ويرى ترزياس أن تطلع طيبة كلها لملاقاة الوحش . فان كان
يلقى الغازا حقا استطاعت أن تحلها بذكاء أذكياها . وإذا لم يكن
هناك لغز . افتربت طيبة مجتمعة الوحش بدلا من أن يفترسها
هو واحدا واحدا .

ان ترزياس هنا يقترح أحد الحلول التى شاعت بعد النكسة
للقضاء عليها ومواجهة وحشنا الاسرائيلى القابع شرق القناة وذلك
بمواجهته بكل ما نملك من قوة . بغض النظر عن تقديرنا لمدى
فعالية تلك القوة بالنسبة له . . وهل هى ستقضى عليه أم ستبدد
أمامه .

عموما أقول ان هذا الحل الذى اقترحه ترزياس قد كان أحد
الحلول المقترحة فيما بعد نكسة يونيو . .

ويعود على سالم الى موتيفة القهر والقمع ومراكز القوى
المفضلة لديه أو الاثيرة والتي تشيع في أنحاء المسرحية في خفوت
أحيانا وفي علو ووضوح وصراحة أحيانا أخرى يعود على سالم
ليذكرنا بذلك من خلال رغبة أوالح رئيس الشرطة في اعتقال
ترزياس . . لمجرد أنه يقترح حلولاً للموقف لا تتوافق والمزاج
الاولحي .

ولكن كريون . . في تلك اللحظة . . يعترض على مجرد
التفكير في اعتقال شخص بسبب آرائه .

ويعود على سالم لينوع على تيمة « Theme » القهر ومصادرة
الحريات المفضلة لديه من خلال « أوالح » أيضا الذي يرى أوديب
يلمح بمصادرة أوالح للحريات فيفتاظ أوالح ويمد يده لتنتزع أحد
الجالسين واسمه « سنفرو » الذي نعرف انه كاتب مسرحي ، يسأله
عما اذا كانت تقدم أعماله كلها بكل ما تحتويه من نقد وآراء .
فيوافقه الكاتب المسرحي مضطرا . ثم يعود فيسأله عما قاله في
آخر مسرحية له . فيتساءل « سنفرو » بدلا من أن يجيب .
يتساءل قائلا :

- (يهمس) : انهو مسرحية . . الى انتو منعوتوها ؟ (١)

مدللا بذلك على حقيقة ما يحدث . ومفجرا الضحك على كل
من خشبة المسرح والصالة للتناقض الصارخ بين الأقوال والأفعال .

ويطلب « أوالح » من كريون أن يذهب هو للتصدي للوحش .
فيعبر كريون عن استعداده الا أنه يقول انه مقاتل يستطيع أن
يتفاهم بالسيف ولكنه يعجز أمام الكلمات .

وتطل جو كاست الملكة من الشرفة محاولة فض النزاع المستمر

(١) على سالم - كوميديا أوديب - أو انت الى قتلت الوحش (ص ٤٤)

والنقاش العقيم ، محاولة البحث عن عقل يتصدى للغز . . ساخرة
من هذا الهروب من تحمل مسئولية انقاذ المدينة اليوم . . الذى
يقابله تكالب وادعاء المعرفة وسعة الحيلة أمام اعلان وظيفة خالية .
ثم تتوجه جوكاست بكلامها الى شعب طيبة مباشرة فى لهجة
طالبة أمرة فى ذات الوقت قائلة :

« يا اهل طيبة . . أشكركم حكمة . . أحذكم ذكاء . . أكبركم
متملا . . أوسعكم خبرة . . يتقدم ويحل للغز . (١) »

فريد أوديب الذى يرى فى نفسه كل تلك الصفات التى
عددها جوكاست ليعلم انه هو الذى سيتصدى للغز (ويزود على
سالم هنا شخصية أوديب بأحد معالمه الأساسية وهى الثقة
بالنفس الزائدة عن الحد ، أو الغرور) .

وتسأل جوكاست أوديب من أى مكان هو ؟ فلا يكثرث هو
بذلك . بل يطلب أن يتعرف بصراحة على مكافأته ان هو حل
الغز . فيعدد له « أونع » رئيس الغرفة التجارية ما يمنحه له من
مزايا مادية وأدبية . الا أن أوديب لا يطلب سوى طيبة ويد
الملكة . فيوافقوا بعد تردد شديد . (ويتضح لنا هنا الخلاف بين
المسرحية والاسطورة حيث تقرر طيبة مكافأة قاتل الوحش فى
الاسطورة ، أما هنا فأوديب ذاته هو الذى يملئ شروطه قبل أن
يقابل الوحش) .

وقبل أن يتوجه أوديب للتصدى للوحش وحل الغز . نجد
ترزياس يقف مستنكرا ما فعلته طيبة وسائلا ماذا كنتم فاعلين لو لم
يكن أوديب بينكم ؟

الا أن كلام ترزياس يقابل بالاستنكار ومن جانب الشعب
والملكة .

(١) على سالم - كوميديا أوديب - أو انت الى قتلت الوحش (ص ٤٧) .

ويعود أوديب من ملاقاته الوحش ، لتستقبله طيبة بالتهليل والغناء وترديد عبارة : « انت اللى قتلت الوحش » ويحاول أوديب الكلام الا أن صوته يضيع وسط الصباح والغناء فيسكت .

وبعد انقضاء ، يوم ، نجد أوديب جالسا في قاعة العرش ، حيث جاء (حورمحب) يطلب توجيهات أوديب الملك . فيطلب منه أوديب عمل اجتماع للمجلس الأعلى لكهنة طيبة بعد الغروب . الا أن « حورمحب » يبدأ فى عملية تأليه أوديب . حيث نجده يخبره فى البداية أنه وجد اسمه وقد تردد سبع مرات فى وثائق بردى تلك الوثائق التى لا تدون فيها سوى أسماء آلهة أو بشر من صلب آلهة . . بشر غير عاديين .

ويقهم أوديب نية « حورمحب » فينهاه عن سلوك ذلك المسلك مرة أخرى . ان أوديب فى مسرحية على سالم يعتز بإنسانيته كثيرا . . ويعمل باستمرار على التأكيد على حقيقة كونه إنسانا بعد أن « خلق عنه على سالم أودية الالهية وارتد به الى طبيعة البشرية أو طبيعته كإنسان » (١) +

وما حدث مع « حورمحب » نراه يتكرر مع « أوالح » الذى يريد تملق الملك فيأبى ذلك . وما أن يخرج « أوالح » حتى يدخل « كامي » صديق أوديب . . من كان يلعب معه الشطرنج فى بداية المسرحية . لقد أتى لأوديب باحثا عن المنفعة عند صديقه القديم . ولذلك نجده يرفع التكليف فى الكلام والحركة فيأبى أوديب ذلك فنجد يد « أوالح » تمتد كالأخطبوط من خلف العرش لتحيط بالفتى « كامي » الى حيث يلقي مصيره .

ويلقى ترزياس على الأحداث لينتهى الفصل الأول من المسرحية .

(١) جلال العشرى . كتيب أ « بروجرام » المسرحية . مسرح الحكيم (١٩٧٠) .

الفصل الثانى :

بعد فصل المسرحية الأول الطويل المبني بناء تقليديا ..
أقصد بناء الفصل التقليدى الاستاتيكي نجد على سالم يغير تماما
من بناء فصل مسرحيته الثانى . فقوامه سبعة مشاهد .. قصيرة
سريعة .. متتالية .. أقرب الى ما يسمى بال «Flash»
أو الومضات السريعة التى استفادها المؤلف من تكنيك مسرح
العرائس الذى عمل به مدة غير قصيرة فى بداية حياته .

وتجىء مشاهد الفصل الثانى السبعة أقرب الى التنوعات
المختلفة على لحن واحد أساسى هو محاولة تأليه أوديب .

فمن المشهد الأول : نلمح سريعا التنوعات على اللحن أو النغمة
الأساسية فى هذا الفصل . فنحن الآن فى منزل المؤلف المسرحى
« سنفرو » الذى تتحدث معه « أوالح » فى الفصل الأول من
المسرحية حول قضية حرية الرأى « وحرية النشر والعرض
والمنع » .

ففى صالة المعيشة فى منزل « سنفرو » التى ينص « على
سالم » على أنها ذات أثاث شبه عصرى وإن كان يغلب عليه الطابع
الفرعونى .. ويطلع « سنفرو » مجلة عن غير رضا . بينما يلعب
ابنه بلعبة .. وتلعب زوجته على آلة « هارب » كبيرة .

نفاجأ بالتليفون .. أحدث وسيلة اتصال فى العصر الحديث
يدق فى منزل « سنفرو » ومن حوله أجهزة كهربائية أخرى تنقل

الصورة أو الصوت أو هما معا ٠٠ أقصد نفاجاً مرة ثانية بجهازى
راديو ٠٠ وتليفزيون ٠٠

ويرفع « سنفرو » سماعة التليفون ليرد على صديقه « كاعت »
ثم يحضر الابن اليه طالبا اصلاح لعبته التى فسدت فى يده ٠٠
فيأخذها منه الأب ويعدده باصلاحها الى أن ينتهى من عمل واجبه
الدراسى اليومى .

ويعلق « سنفرو » على اختيار زوجته « نفر » للعبة الطفل ٠٠
ذلك الاختيار الغير موفق ٠٠ انها عبارة عن وحش وأوديب يقتله ،
الا أنها ترد عليه بأن كل ما فى السوق من لعب أطفال أصبحت
تعويذات مختلفة لتيمتى أوديب المنتصر والوحش المهزوم .

ولا تقف المشكلة عند هذا الحد ، بل نجدها تتأصل . فائناء
مطالعة الطفل لدروسه نجده يقرأ اسم الوحش فى كتاب « المطالعة
الوحشية » فيتضابق « سنفرو » من حصار أوديب للعب الأطفال
وكتب المطالعة وأغنيات الراديو وبرامج التليفزيون والمسرح .

وفى المشهد الثانى : نجد نفس اللحن تتردد نغماته بتوزيع
جديد فى جامعة طيبة حيث يقف « حورمحب » ليحاضر فى الطلبة
مؤلفها أوديب حيث يقول :

— « أقول انه لا يمكن لبشرى أن يحل اللغز الا اذا كان من
صلب الآلهة ٠٠٠ ولذلك تمكن أوديب من حل اللغز ٠٠
راجع من صفحة ١٥ الى صفحة ٣٤٠ من رسالة الدكتوراه
الخاصة بسيادتنا ٠٠ والتى تحدثنا فيها عن الأصول
الالهية التى ينحدر منها صاحب الجلالة أوديب رع » (١)

من الحوار نعرف أن الجامعة بدأت تؤصل علاقة أوديب بالآلهة

(١) المسرحية ص ٧٢

أو أصله الالهى كل ذلك بدافع جعله مميزا عن الناس .. وغير عادى .

وفى نفس المشهد نرى أوديب يحتفل بالذكرى الخامسة لقتل الوحش .. وهو يريد أن يتحدث فى الناس .. الا أننا لا نسمع منهم سوى هتاف منتظم لعبارة : « انت الى قتلت الوحش » التى تلقنهم .. بل وتحفظهم اياها جميع وسائل الاعلام الحديثة التى اخترعها أوديب ضمن ما اخترع من مبتكرات علمية حديثة نقلت طيبة حضاريا مسافة خمسة آلاف سنة .

وينتهى المشهد الثانى .. لنجد **المشهد الثالث** : كله تدور أحداثه حول أساليب « أوالج » البوليسية الخطيرة فى استجواب شخص تردد أنه يشكك فى صحة قضاء أوديب على اللغز . فيلحق له « أوالج » الاتهامات .. قيموت بين يديه . فلا يتورع عن القائه من سطح المبنى بعد أن مات ، وادعاء انتحاره فى محضر التحقيق . لينهى بذلك حالة من الحالات الكثيرة التى يتعامل معها بطرقه المريبة .

وتلك كانت احدى التنويعات على النغمة الأساسية وان بدت للوهلة الأولى فى شكل غريب وغير مباشر .

وفى **المشهد الرابع** : يعكس لنا على سالم انشغال أوديب فى أبحاثه عن كل شئ سواها ، وذلك فى شكل فنى غير مباشر .. من خلال قلق وضيق زوجته التى تعلن « لأوالج » انها لم تره من يوم زواجهما سوى أربع مرات فقط على مدى خمس سنوات كاملة أو يزيد .

بل انها تحمل « أوالج » مسئولية كل ذلك . . فهو الذى مدح لها رجولته وشجعها على الموافقة به كزوج . انها تطلب منه التخلص من أوديب كما سبق وتخلص من لا يوس . ولكنه يرفض مبديا السبب ، وهو أن أوديب غير لا يوس . حيث أنه يعيش فى قلوبهم بمخترعاته وحرصه عليهم . . ويقترح « أوالج » أن تستخدم جوكاست سلاح المرأة الكامن فى جمالها وسحرها الذى يصفه بأنه أقوى من قنبلة ذرية .

لكن جوكاست تقول انها فشلت فى استخدام ذلك السلاح منذ مدة غير قصيرة . فيقترح « أوالج » استخدام طريقته التقليدية . . وهى سيكولوجية أكثر من أى شئ آخر . وتكمن فى محاولة هدم ما بينيه أوديب وخصوصا كمية حبه لدى الناس . . وذلك من خلال المغالاة فى فرض حب الناس له .

ثم يصور على سالم فى نفس المشهد « أونج » رئيس الغرفة التجارية الذى يستفيد من كل اختراعات أوديب ومن عوائدها المادية الضخمة . وان كان لم ينس استجداء رضاء من حوله ومنهم « أوالج » الذى نراه يطلب المزيد .



وفى المشهد الخامس : الذى لا يزيد عن جملة من ثمانى كلمات فقط يرددها أهالى طيبة فى مهابة وقداسة . . وخشوع . تنقل الينا استسلام المدينة لادعاءات المعبد حول تأليه أوديب . . فهم يرددون هذه الجملة :

— « أوديب رع . . انت الى قتلت الوحش . . أوديب رع . . » (١)

(١) المسرحية ص ٨٢ .

وفى **المشهد السادس** : نجد أوديب مبهورا لسماعه ومشاهدته شعب طيبة وقد قدسه بهذه الطريقة التى ينكرها أوديب .

فنجده يجتمع « بحورمحب » و « أوالح » من أجل ذلك . . وهو عندما يسأل « أوالح » نجده - أقصد أوالح - يرجع السبب فى ذلك الى احترام الأهللى للملك . الا أن أوديب يسأله عما اذا كان قد أصدر بيانا بتأليه أوديب . فينكر « أوالح » ذلك . وان كان يرجع ذلك ربما لتسرب الخبر من القصر .

ولكن « حورمحب » يعترف لأوديب - صراحة - أنه لا يردد العبارات حول تأليه أوديب فقط وانما هو يدرس ذلك فى مراحل التعليم المختلفة .

وعندما يستنكر أوديب ما يحدث . ويطلب رأى كريون نجد كريون سلبيًا . ضيق الأفق . منغلقا على نفسه . . فهو يرى أن السياسة ليست عمله . . ولكن الحفاظ على النظام فقط هو ما يراه مناسبًا له .

وكلما حاول أوديب أن ينفى صفة الألوهية عن نفسه نجد « حورمحب » يشرح له ضرورة ذلك للملك . وهو النظام الذى تواضع شعب طيبة عليه . ويحاول أوديب أن يفهم « حورمحب » أهمية قانون التطور . أقصد تطور الحاكم من الاله الى الانسان العادى ولكن « حورمحب » يطلعه على سر خطير . . وهو أن جميع من حكموا طيبة قبله ما كانوا سوى بشر عاديين أحاطهم معبد آمون بهالة من القدسية والالهية . . ليستطيعوا مواجهة الواقع .

ومن هنا ، لا يستطيع أوديب صاحب مخترعات طيبة الحديثة التى نقلتها حضاريا مسافة خمسة آلاف سنة . . لا يستطيع أن يقنع « حورمحب » بوجهة نظره .

وينتهى المشهد السادس . .

يبدأ **المشهد السابع** .. آخر المشاهد فى الفصل الثانى من المسرحية .. يبدأ « بترزياس » ويقف أوديب وسط ساحة المدينة التى لاحقيا التطور .. يقف ترزياس .. مخاطبا جمهور القرن العشرين .. ملخصا أو شارحا ما فات من أحداث الفصل الثانى كاملة .

يتحدث ترزياس عن أوديب المنتصر .. والوحش المقتول .. تلك النعمة السائدة على لسان شعب طيبة اليوم .. وأوديب الذى اختصر لطيبة خمسة آلاف سنة من عمر الزمان .. ومجلس المدينة المستفيد من تلك النقطة الزمنية والحضارية .

وعن الانسان يقول ترزياس :

— « .. ومن الغريب ، أن الانسان ، ظل لآلاف السنين وسيظل الى الأبد .. هو الحل الوحيد لكل الألغاز .. سيظل الانسان هو النعمة الصحيحة الواضحة بين كل الألحان الرديئة على مر العصور .. ومن الغريب أيضا أن هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس فى نهار طيبة ، كثيرا ما تغيب عن أذهان الكثيرين من الملحنين الذين يصنعون للشعوب موسيقاهم » (١) .

وأظن أن « ترزياس » قد قال كل ما يمكن أن يقال .

ثم يخرج « ترزياس » ليظهر أوديب فى شرفة القصر .. ويتجمع الأهالى حول الشرفة حيث يعلن فيهم أوديب أنهم يحتفلون اليوم بذكرى أو عيد مقتل الوحش ... وبينما الاحتفال فى أوجه « ترتفع صيحة هائلة لانسان يتعذب .. الأهالى يتسمرون فى أماكنهم فى هلع .. يدخل أحد الأشخاص من السور مندفعا وقد

(١) المسرحية ص ٩٢ .

غطى الدم وجهه وكل جسمه ٠٠ ومازال الرجل يصيح صيحات
بشعة ٠٠ ويرتمى على الأرض بين الأهالي صائحا :

— وحش ٠٠ وحش كبير قوى ٠٠ جنب السور ٠٠ كل
رجلي ٠٠ آه حاموت ٠٠ (١) ٠

وينتهي المشهد بين استنكار « أوالح » لحقيقة ما يراه ٠٠
وخوف « سنفرو » مما يراه وهله ٠

وفكرة استرجاع الوحش أو عودته ليست من ابتكار على سالم
وانما هي مستوحاة من رجوعه في مسرحية على أحمد باكثير التقطها
على سالم ، وبحس مرهف أكسبها صلاحيات وتأثيرات جديدة لم
تنبع من قدرتها على انتزاع الضحكة في مسرحية المفروض أنها
كوميديا ، ولكن من قدرتها على ادرار الدمعة أو تجميد الانفعال اذا
صح التعبير ٠

★★★

ونصل معا الى الفصل الثالث أو آخر فصول المسرحية ، لنجد
طيبة وقد ووجهت بالخطر من جديد ٠ ولكن ماذا ستفعل هذه المرة
في مواجهة الخطر ؟

— ان «أوالح» يقف ليشرح أبعاد الموقف من خلال تقرير كلفه
بعمله مجلس المدينة ٠

ويقول التقرير ان الوحش ليس هو الوحش السابق الذى
قتله الملك ٠ وانما هو وحش جديد على هيئة أبى الهول أيضا ٠

ونحن نعلم من ذلك أن مجلس المدينة ينفى أى محاولة
للتشكيك في قضاء أوديب على الوحش السابق ٠

(١) المسرحية ص ٩٥ ٠

ثم يضيف « أوالح » أن الوحش قد هاجم خمسة وثلاثين
شخصا التهم منهم ، ثلاثين وأصاب الباقي .
وأخيرا يقول أنه ليس لديه دليل على أن الوحش يلقي
الغازا .

ويجتمع مجلس المدينة ، وتحدث مشادة بين مجهول
و « أوالح » تؤدي الى خلاف بين أوالح وتريزياس .
ويرى « أوالح » أن « كريون » هو المسئول عن القضاء على
الوحش بصفته المسئول عن حراسة طيبة وأمنها .
ويأبى كريون أن يفعل شيئا الا بعد أن يعرف كل الحقائق
اللازمة عن الوحش . . . حجمه . . . سمك جلده . . . مدى ابصاره . .
نقاط ضعفه . . . سرعته . . . وقت نومه . . . حتى يستعد له ويدرب
جنوده على كيفية القضاء عليه وحتى لا تتحول الحرب الى « خناقة »
كما يريد « أوالح » أو الى « انتحار جماعي » كما كان يرى ترزياس
من قبل .

ورغم كل تكتيكات « كريون » التي تنم عن ذكاء . الا أنه
يتراجع في النهاية ليقول : « فيه طريقة ثانية أسهل . . جلالة
الملك أوديب رع زى ما خلصنا من الوحش الأولانى . . يخلصنا من
الوحش الثانى ومفيش داعى حد يتعب نفسه . . » (١)

لكن « حورمحب » يعارض رأى كريون الأخير . لأن التقاليد
الفرعونية تمنع تعريض حياة فرعون لاحتمالات الخطر .
وتظهر « جوكاست » من شرفة القصر . . حيث تسأل عن
الموضوع الذى من أجله اجتمع مجلس المدينة . . فيقولون لها ان
الوحش قد عاد . وكأنها فى نوم عميق كانت . . بعيدة عن طيبة
وآلامها فى برج عاجى مرتفع . . .

(١) المسرحية ص ١٠٣ .

وتسألهم (جو كاست) : بلغتوا أوديب ؟ (١) •

فيرد عليها « أونح » بأنه في معمله يتم أخطر اختراعاته •
الا أنها تطلب منه أن يبلغه ليحضر • وكأنها قد وجدت الفرصة التي
طالما سعت إليها •• فرصة الخلاص من أوديب •

ويحضر أوديب ليواجه الأهالي •• يواجههم بإمكانية ذهابه
لحل اللغز •• ولكنه يسألهم عما هم فاعلين اذا مات أوديب ؟

فيكون ردهم : أوديب يموت ؟

ويحاول أوديب في تلك اللحظة أن يمحو فكرة تأليهه من
أذهانهم •• تلك الفكرة التي ستقضى على كل الحضارة التي نقلها
أوديب لطيبة •• والتي يهددها الآن ، وحش •

يقول أوديب لأهالي طيبة : لن يستحق حضارته من لا يستطيع
حمايتها من الخطر •

وان عليهم الآن مسئولية الخروج - جميعا - لملاقاة الوحش
والقضاء عليه •

ويهب « تريزياس » واقفا مؤيدا كل ما قاله « أوديب » -
فيحس شعب طيبة الذي يصيح « الوحش » •• « الى الوحش » ••
ويتجه الى أسوار طيبة •• بينما يقف أوديب مفكرا في ذلك الوحيد
الذي لم يخرج لملاقاة الوحش •• أقصد « أوالح » الذي يتحجج
بأمن طيبة الداخلى •

وينتهى هذا المشهد الأول بارتفاع ايقاع المعركة •••

★★★

(١) المسرحية ص ١٠٤ •

وفى **المشهد الثانى** : « من الفصل الأخير تنهزم طيبة أمام الوحش . تنهزم لأنها خرجت فى همجية وجهل ودون أدنى تخطيط لتواجه ذلك الوحش . فلم يفعل « كريون » ما كان يريد من دراسة كل الظروف المحيطة بالوحش ومعرفة كل المعلومات حتى يدخل المعركة مستنير الذهن وحتى لا تتحول الحرب الى « خناقة » أو « محاولة انتحار جماعية » . لقد وقع « كريون » وطيبة كلها من بعده فى الخطأ . وقعوا جميعا فى نكسة ٦٧ التى وقعت فيها مصر نتيجة سوء تقدير حقيقة العدو أو الوحش الحصم . . وخوض المعركة وكأنها « خناقة » .

ويعلن كريون تحمله مسئولية الهزيمة كاملة ثم يناقش مشكلة الرجل المقاتل الانسان ذلك الذى يمسك بالسلاح ليحركه ويصوبه ويقا تل به . والذى تكمن المشكلة بداخله هو أساسا . مشكلة صنعه كانسان .

ويظهر تريزياس ليفتح عين أوديب على اختراع لم يثنبه اليه وهو الخوف . . ذلك الذى أفسد مفعول جميع اختراعاته وكاد يحطم الانسان . . الخوف من « أوالح » .

وينفى « أوديب » أوالح خارج أسوار طيبة . حيث نجد « أوالح » مستعدا لملاقاة ذلك ومتسلحا بعقد عمل فى « بابل » .

وقضاء على سالم على « أوالح » مركز القوى والتخويف والتعذيب هو تنبؤ منه كفنان بعيد النظر بما حدث بعد ذلك بسنوات فى مصر من القضاء على مراكز القوى واسقاطها .

وبعد رحيل « أوالح » يبدأ أوديب فى التخطيط العلمى السليم للقضاء على الوحش . معتمدا فى ذلك على اثنين ثبت له أنهما مخلصين لطيبة وله . هما « كريون » و « تريزياس » .

ويرى ترزياس أن نقطة البداية تكمن في محافظة أوديب على حب طيبة له • فيطلب منه أن يحافظ على هذا الحب بمصارحة الشعب بالحقيقة • • حقيقة أن البطل الفرد لا يستطيع وحده باستمرار القضاء على الوحش •

ويخرج أوديب للشعب ليطمئنهم على طيبة • ويفز اليهم خبر طرد « أوالح » من طيبة • • الذى هو طرد للخوف بعيدا عنها • • بل ويعلن لهم أخطر الحقائق وهى أنه لم يقتل الوحش فى المرة السابقة ، فالانسان بمفرده من الصعب أن يقتل وحشا يهاجم مدينة •

★★★

وفى المشهد الثانى للمسرحية يحاول على سالم أن يحدد بالضبط ما يريد أن يكشفه •

فترزياس يقف ليعلن « أن نقطة البداية الحقيقية لاعادة صنع الانسان من أجل اطلاق كل الطاقات الابداعية بداخله هى أن نحرره من الخوف والقلق والشك » (١)

ولكن تكمن المشكلة حين يسأل أوديب عن كيفية ذلك ؟ • • حيث يعجز ترزياس الحكيم الذى لديه اجابات شافية وافية للملايين الأسئلة • • يعجز عن الاجابة عن سؤال أوديب ويكتفى بأن يضع من يجيب عليه فى مصاف الحكماء والفلاسفة • • وعندما يلوح الحل على وجه كريون ويكاد يخرج من فمه نجس أوديب يطلب منه ألا يقوله • • بل ينفذه مع ترزياس بكل حماس الشباب •

بينما يطلعهم أوديب على نيته هو فى أن يترك القصر من أجل البحث عن المعرفة التى رغم كل معرفته أحس أنها تنتقصه •

(١) المسرحية ص ١٢١ •

ويخرج أوديب راحلا • بينما يخبر كريون تريزياس أنه
سيدفع أكبر ثمن من أجل شراء طيبة • وهو يقصد بذلك أنه
سيهب نفسه من أجل مواجهة الوحش •• ان قضى عليه كان بها ••
وان قضى عليه فسيعتبر شهيدا في نظر الجميع قد دفع من موته
ثمنا للحياة •

ويذهب كريون لملاقاة الوحش • ونعلم أنه مات أو استشهد
في ضوء الفكرة الجديدة ليعلم تريزياس في الشعب كله « أنه لابد
من الموت في سبيل الحياة ، وأنه بالموت لن يخسر الانسان سوى
خوفه •• وأن حياة يتهددها أبو الهول خير منها الفناء • » ثم
يخبرنا تريزياس أن طيبة بدأت تعرف الحل جيدا •

وتنتهي المسرحية ••

الشخصيات : « Characters »

أوديب :

أوضح على سالم في شخصية أوديب حرصه على التغيير . .
للملاءمة مفهوم التطور . يشمل هذا التعبير كل شيء وليصل حتى
إله المعبد وقصر الملك . فهو يؤمن بالإنسان إيماناً كبيراً لا تحده
حدود وهو يعتز بانسانيته وينفى عن نفسه أى محاولة من جانب
الآخرين لرفعه وتأليه .

وان كان المؤلف لم يستطع أن يكسب شخصية أوديب لونها
المحدد منذ البداية وحتى النهاية ففي الفصل الأول قبل أن يصبح
الملك ، نراه وقد فاح الغرور من فمه عندما يجيب الملكة بعبارة
: « أنا يامولاتى » عندما تسأل أهل طيبة من أكثرهم حكمة وأحدهم
ذكاء . وأكبرهم عقلاً . . وأوسعهم خبرة . . ليتقدم ويحل اللغز .

ثم هو الذى يطلب جزاء ما سينجزه من فعل . . الملك
والملكة . . ذلك الذى لم يعرض عليه بل طلبه وألح عليه . بل
وتوجه لحل اللغز أو القضاء على الوحش بعد أن ضمن الموافقة على
طلبه . فهو بذلك شخص تهمة مصلحته الشخصية لا مصلحة
وطنه . وان كان فى نهاية المسرحية . وبعد أن أصبح ملكاً نراه وقد
نغير لونه تماماً . . أبقى على سالم على ذكائه الى النهاية لكنه الذكاء
المحدود بضيق الأفق وقصر النظر . والذى اعتبره نقطة ضعفه
أو ما يعادل السقطة فى التراجيديات « Hamartia » فأوديب لم يشمل

ادراكه كل ما حوله • ولم يستطع تغيير ما عزم عليه • واكتفى فقط
بنقل طيبة حضاريا الى صناعة المدينة والحضارة ، الى اختراع الخلاط
والراديو ، الأمر الذى جعل من حضارته حضارة هشة بلا مضمون ،
حضارة لا تقوى على مواجهة أى وحش همجى يهب عليها من
الصحراء • (١)

ان أوديب يطلب من شعب طيبة ما لم يطلبه هو من نفسه عندما
قرر أن يذهب لمواجهة الوحش • فهو يريد أن يكون شعب طيبة
أكثر وطنية وتضحية منه • بل يتحول الى حكيم كتريزياس يسدى
النصح للشعب •

جوكاست :

أكثر الشخصيات مخالفة للمألوف هي شخصية جوكاست •
واقصد بذلك مخالفة للاسطورة والمسرحيات التى عالجت الاسطورة •
وقد سبق أن تحدثت عنها كثيرا فى تحليلي وعرضي لفصول
المسرحية •

لقد لعبت جوكاست دورا صغيرا جدا فى « انت الى قتلت
الوحش » بعد أن غير على سالم من ملامحها •

انها هنا جوكاست المرأة • المرأة التى استبدلت رجلا برجل
• • بل وتآمرت على الأول • وأيضا حاولت التآمر على الثانى •
امرأة تببيع على المسرح عن معاناتها وحرمانها الجنىسى لهجر زوجها
لها • بل هى تذكر « لأوالح » أن أوديب لم ينم معها على مدى
خمس سنوات سوى مرات أربع وهى تحمل أوالح مسئولية زواجها
من ذلك الذى خيب آمالها فيه بانصرافه عنها الى حيث اختراعاته •

(١) جلال العشرى • المسرح أبو الفنون • دار النهضة العربية - القاهرة

ص ٨٧ •

وهى لذلك أول من يطلب حضور أوديب الملك لحل اللغز مرة أخرى عندما عاود الوحش الظهور وذلك عساها تكون نهايته هذه المرة .. امرأة غريبة جدا ..

تريزياس :

هو صوت على سالم نفسه أو الستار الذى تخفى وراءه عندما أراد أن يحدث جمهوره . وهو تريزياس التقليدى .. الأعمى .. البصير الحكيم .. العاقل .. الذى وصفه على سالم على لسان احدى شخصياته قائلا :

- جد جد جدى ، سمع من جد جد جد .. انه كان موجود قبل ما يتولد ، (١)

كريون :

غايرت صورته فى المسرحية كل صيوره السابقة . فهو خير .. محب لطيبة وأوديب ، ومخلص لهما ، مهمته حراسة أمنها ..

صوره على سالم منغلقا على نفسه ، يسير فى دائرة مغلقة ، ويفصل السياسة ويباعد بينها وبين عمله كمستول عن أمن طيبة . كل ذلك عندما طلب أوديب منه أن يشاركه التفكير والرأى ..

ولكنه فى النهاية يتحول الى الانسان الذى يتحمل المسؤولية الكاملة أمام انتكاسة طيبة . بل ويفكر فى حلول علمية موضوعية للخروج منها .

ثم يرمى بنفسه بين مخالب الوحش ليحقق فكرة الشهيد اللازم للبحث على الثورة . وادراك الحقيقة والبعد عن التخاذل والتواكل .

(١) على سالم - انت الى قتلت الوحش - ص ٤٣ .

مصادر ومراجع البحث

المصادر :

- سوفوكليس • مسرحية « أوديب ملكا » ترجمة : د. طه حسين
من الأدب التمثيلي اليوناني - دار المعارف - القاهرة •
- اندريه جيد • مسرحية « أوديب » • ترجمة : د. طه حسين -
مطبوعات كتابي •
- جان كوكتو • مسرحية « الآلة الجهنمية » ترجمة : فتحي
العشري • مكتبة الانجلو المصرية •
- توفيق الحكيم • مسرحية « الملك أوديب » - مكتبة الآداب •
- توفيق الحكيم • مسرحية « بجماليون » - مكتبة الآداب •
- علي أحمد باكثير • مسرحية « مأساة أوديب » - مكتبة مصر -
الغزالة •
- علي سالم • مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » أو « كوميدية
أوديب » دار الهلال •
- سوفوكليس • مسرحية « أوديب في كولونا » ترجمة :
د. طه حسين - مطبوعات كتابي •
- توفيق الحكيم • قالبنا المسرحي • مكتبة الآداب •
- د. ابراهيم حماده • معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية -
دار الشعب •

المراجع :

- أرسطو . فن الشعر . ترجمة : د . شكرى عياد - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- عز الدين اسماعيل . قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر . دار الفكر العربى .
- د . أحمد شمس الدين الحجاجى . الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر (جزأين) - دار الهلال .
- فرانك . م . هويتنج . المدخل للفنون المسرحية . ترجمة : كامل يوسف وآخرين - دار المعرفة .
- نبيل أحمد صادق : الجماليات عند جان كوكتو . رسالة ماجستير بمعهد النقد الفنى .
- جلال العشرى . المسرح أبو الفنون - دار النهضة العربية .
- كتيب مسرح الحكيم « بروجرام مسرحية انت الى قتلت الوحش » ١٩٧٠ .
- مجلة المسرح - العدد (٣١) - يونيو ١٩٦٦
- الازدائس نيكول - المسرحية العالمية - الجزء الأول - ترجمة : عثمان نويه . مكتبة الانجلو المصرية .
- أوديسة هوميروس - ترجمة : أمين سلامة - دار الأدباء .
- فرنسيس فرجسون ، فكرة المسرح . ترجمة جلال العشرى . دار النهضة العربية
- محمد عصمت حبيدي : الكاتب العربى والاسطورة . (الكتاب الأول) - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

- فوزى فهمى أحمد • المفهوم التراجيدى والدراهما الحديثة
(الكتاب الأول) - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
والعلوم الاجتماعية •
- توفيق الحكيم • الملك أوديب • المقدمة - مكتبة الآداب •
- جلال العشرى • لن يسدل الستار • مكتبة الانجلو المصرية •
- د • ابراهيم حمادة • كوميديا أوديب • فانتيكازيه هادفة •
جريدة « المساء » ١٩٧٠/٢/٢٨ •
- د • محمد مندور • مسرح توفيق الحكيم • مكتبة نهضة مصر -
القجالة •
- د • رشاد رشدى • نظرية التراجيالا • مكتبة الانجلو المصرية •

فهرس

المقدمة ٣

الجزء الأول

أسطورة أوديب ٩

تأصيل أوديب ١٠

الباب الأول

مسرحية (أوديب ملكا) : لسوفوكليس . . . ١٩

أسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى

الباب الثانى

مسرحية أوديب (لاندريه جيد) ٢٧

الباب الثالث

مسرحية الآلة الجهنمية لجان كوكتو ٥١

الجزء الثانى

أسطورة أوديب فى المسرح المصرى المعاصر

الباب الأول

الملك أوديب ١٩٤٩ : لتوفيق الحكيم ٧١

الباب الثاني

ماساة أوديب ١٩٤٩ لعل أحمد باكثير . . . ٩٩

الباب الثالث

كوميديا أوديب أو (أنت اللي قتلت الوحش) ١٩٧٠
لعل سالم ١٣٣

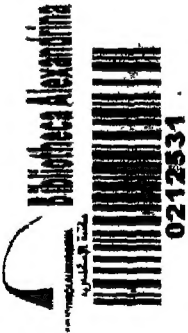
مصادر ومراجع البحث ١٦١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٣/٢١٨٥

ISBN ٣ - ١٦١ - ٠١ - ٩٧٧ -

الكتاب دراسة هامة وممتعة حول الأسطورة اليونانية القديمة والشكل الذي
 اتخذته في كل من المسرح الفرنسى المعاصر عند أندريه جيد . وجان
 كوكتو . وفى المسرح المصرى المعاصر عند توفيق الحكيم . وبالكثير . وعلى
 سالم . فالأسطورة القديمة تتحول فى المسرح الحديث إلى مادة جديدة
 ترفض أن يكون الإنسان لعبة فى يد القدر . وتطرق أبواب « اللغز »
 والمجهول بإرادة إنسانية بصيرة واعية . وتخلص وجه أوديب مما تراكم
 عليه على مر السنين . وتفضى عليه القلق الإنسانى . وتكسبه تعبيرات لم
 يعرفها من قبل . ويظل خلف كل إضافة جديدة .. ذلك الفن العظيم
 الذى هزم الزمن . ومازال قادرا حتى اليوم على أن يستبث من القديم
 نبض الزمن المعاصر .



مطابع الهيئة العامة

١٢٠ قرش